



رئيس التحرير
 محمد الدين الخطيب
 الاشتراك السنوي
 ٥٠ في مصر والستردان
 ٣٠ للطلبة في مصر والستردان
 ٦٠ في الخارج
 ٤٠ للطلبة في الخارج
 ٥ ثمن الجزء

مجلة الأزهر

مجلة شريفة بتبليغ
 تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
 محمد عبد الفتاح
 عضو جماعة كبار العلماء
 العنوان
 إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
 تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الثاني ١٣٧٢ - ١٩ ديسمبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام والسلام

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر، ولا يحول بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى، سواء أكانوا يسكنون معهم في وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطاناً أخرى من هذا العالم.

وإن منها ما ليس كذلك، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون، بل ربما وقف في سبيل التعاون البشري والإخاء الإنساني، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه. وإن مثل هذا الدين يكون شراً تنوء به الحياة لأن الاختلاف بين البشر في العقائد والأديان واقع ماله من دافع، وليست هناك قوة يمكنها رفعه، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة، وأراد محو الأديان الأخرى ما عداه، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها، كان محاولاً مالا يكون، وإنما الذي يكون هو الشقاق والتناوب والحرب المتأججة التي لا نحمد، والحكم الحق على هذا الدين أنه لا يصح أن يكون أتباعه مع أتباع دين آخر وطناً واحداً، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم، ودل أسوأ من وطن يتعادي أبنائه ولا يقدر على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازاً في هذه الدنيا؟ تعادي الأمم الأخرى وتذكي نار الحرب، وتكدر السلم وتقف في طريق الغاية العظمى للإنسانية، وهي السلام الدائم على هذه الأرض.

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتقيه وعلى من لا يعتقدونه ، فهو لا يدعو معتقيه إلى التورط في حروب تلو حروب ولا يكدر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح . والدين الإسلامي أين مكانه ؟ أفبه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثاني ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى بشن عليها الحروب ويغير عليها كلها وافته فرصة ؟ إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامي من الأديان التي تدعو إلى السلم ، والذي يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين في دولته أو في دول أخرى . وذلك يتضح من أمور :

١ — أنه بين في غير ما آية ، أن الاختلاف في العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك فهو واقع لا بد منه ، ومحاولة تغيير سنن السكون عناء في عناء ، لا تجدى إلا الكد والنصب فيما لا يكون ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان منهم من الجنة والناس أجمعين .
وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضي ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمت داع للحقد ولا للبغض .

٢ — أنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التي لا هوادة فيها ، لا إكراه في الدين ، فكل امرئ يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين ألا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ليخرجوها من دينها .

٣ — قوله تعالى : ، فإذا أقيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا أختموهم فشدوا الوثاق فإما منأ بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ، أجاز في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضاً فيطلقوهم بفداء ، وفي هذا تعليم عمل للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ — أنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم في الدين ذمة ، وأن يسكنوا في وطن واحد .

٥ — أن الرسول بين حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هي مثل حقوق المسلمين ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، أي لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ — صرح تصريحاً قاطعاً لا يقبل الشك ولا التأويل ، أن الاختلاف في الدين لا يؤدي إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذي يؤدي إلى ذلك هو عدوانهم :
 ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، .
 ٧ — أن القرآن دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتي هي أحسن ، وحصر مهمة الرسول في البلاغ :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . »

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ، ، وما أنت عليهم بجبار ، ، ادفع بالتي هي أحسن السيئة ، ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، ، فإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، . »

هذه القواطع والاصول التي ينبغي أن تكون محمكة فتجعل أم الكتاب وكل ما خالفها من المتشابه يرد إليها .

ولعل قائلًا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ما ورد فيه من الدعوة إلى الحرب وقتال المشركين كافة : « يأياها النبي حرص المؤمنين على القتال ، - فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، - فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، ، يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ، ، فليقاتل في سبيل الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، . »

أليست هذه الآيات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ويطلب أن تقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقاموا عنها كما ورد .

قلنا إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداة وحاربهم ووقفوا في سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ، بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضى عن ناصبه العداة ، وأن يطلب من معتقيه أن يقفوا مكتوفي الأيدي ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ، لأنه بخلاف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل

أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفي الإسلام حبا للسلام أنه يفضيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ، ولا يقدر في حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم . وهذا هو محل الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد والقتال وهي تارة تأتي مقيدة بالعدوان وتارة تأتي مطلقة عن التقييد لعلمه . من الحال ، كأن يكون الكلام في قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلمه من النصوص التي تحرم قتال من لم يعتد ، وما كان الله ليترك هذه المسألة وهي تتعاقب بمستقبل البشرية وسلام العالم ، دون نص قاطع وبيان واضح وقد جاء هذا البيان في قوله : تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسخطوا إليهم ، ، لا إكراه في الدين ، .

أعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ويكيدون له ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هي تأليب دول العالم عليه وإفهامهم أنه حرب للسلام وللتعاون البشري والإخاء الإنساني ، ليقفوا منه موقف العداوة ويحاربوه بكل سلاح .

لأنهم يحمدون في أن يفهموا الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجاري روح العصر في الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه وعلى الإنسانية ، لأنه لو ترك وشأنه ، لورطها في حرب تلو حرب ، وفي نزاع دائم وخلاف مستمر ، لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجرائم الضارة والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذي يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة وأيمن على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذي يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم في جهاد في غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظراً إلى العدو المتربص الذي يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

سَنَ نَحْنُ

قبل نحو تسعة أشهر ، وكان قد مضى أربعة أسابيع على حريق القاهرة ، أراد صحفي مصري أن يستنير برأى سياسى مصرى قادم من أمريكا حيث كان ينظر إلى مصر من بعيد فيحكم على ما يقع فيها وهو غير متأثر بالاعراض والاعراض التي يتأثر بها المتأثرون بالعادة والإلف ، فسأله الصحفي :

— ما الذى تراه من أحوالنا هنا ؟ إننا نحن الذين نعيش داخل الدوامة العنيفة من الأحداث الكبيرة التي تجري في الوطن ، لا نستطيع أن نرى كل شيء ، وأنت هنا تمتاز عنا بأنك تقف بعيداً ولكن عينك دائماً على الوطن ترى كل ما يحدث فيه .

والسياسى الموجه اليه هذا السؤال هو الأستاذ محمود فوزى وزير خارجيتنا الآن ، وكان إلى ذلك الحين مندوب مصر في الأمم المتحدة . والسؤال أكبر وأخطر من أن يجيب عنه رجل رسمى كالاستاذ محمود فوزى ، ولذلك سرعان ما غير موقفه من سائله وقال له :

— أريد أن أسألكم جميعاً وأسأل نفسي معكم :

« من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ . . »

وهذه الأسئلة التي وجهها إلينا وزير خارجيتنا ، بل مندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة ، بقيت من ذلك الحين بلا جواب . ولأجل أن يلفت الاستاذ محمود فوزى الانظار إلى خطورتها وجهه الى أمته السؤال الآتى :

« ما هو رأيكم - مثلاً - في رجل تلتقون به في الطريق العام ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، وتستوقفونه قليلاً وتسالونه عن اسمه . . فإذا هو لا يعرف اسمه . وتسالونه عن عنوانه وعمله ، فإذا هو بلا عمل ولا عنوان . وتسالونه عن وجهته ، فإذا هو (منطلق) في الطريق ، منطلق إلى غير هدف محدد ، وبدون غاية يقصدها . ما هو رأيكم في مثل هذا الرجل الذي

لا يعرف نفسه ؟ لقد أصبحت أعتقد أن سر أزماتنا جميعاً يرجع إلى جملنا بأنفسنا ، وبت
أعتقد أن ظروفنا لم تعد تحتل بعد اليوم أن تبقى نفوسنا سرّاً مغلقة علينا . دعونا نحاول
أن نعرف نفوسنا ، فإن هذا وحده هو المفتاح الذي يفتح أمامنا جميع المسالك ، وحاولوا
أن تجيبوا عن هذه الأسئلة الأربعة تبذوا لنا جسراً عاقلاً نعبر عليه مرحلة الخطر ، .

إن الأستاذ محمود فوزى لم يحاول الإجابة عن أسئلته الأربعة ، لكنه توسع
في عرضها عرضاً سريعاً بمقال نفيس^(١) أظن انى لم أقرأ عن المجتمع المصرى مقالا أنفس منه
منذ عشرين سنة .

من نحن ؟

هذا السؤال وضعه الأستاذ محمود فوزى على لسان مصر حكومة وشعباً ، ويصح
أن يوضع على السنة الاقطار الممثلة في جامعة الدول العربية ، وعلى السنة الاقطار التي يتألف
منها العالم الإسلامى كله . . . وإذا أجيب عنه بجواب سديد كان مفتاح التوجيه السليم لكل
مجتمع إسلامى وفي مقدمته مصر .

لقد مر علينا زمان في مدة الاحتلال البريطانى لمصر ، وكان يتجح فيه بعض الكتاب
بالتحدث عن الأمم التي احتلت مصر فيقولون : إن مصر وقع عليها الاحتلال من الرومان
والفرس والعرب والكرد والشركس والترک والفرنسيس والإنجليز . وهم لا يقولون هذا
في معرض الشكوى من احتلال الفرنسيس والإنجليز ، بدليل أنهم في مقالات أخرى مما خطته
أقلامهم يذكرون حسنات الاحتلال الفرنسى والإصلاح الذى تم في مصر مدة الاحتلال
البريطانى . بل لعل هذه الحسنات الفرنسية وهذا الإصلاح البريطانى مما سجلوه بأقلامهم
حتى في كتب الدراسة الابتدائية والثانوية . وهذا يدل على أنهم يريدون من سرد أسماء
الأمم التي احتلت مصر أن يتقشوا في أذهان قرائهم من المصريين ولا سيما الطلبة أن العرب
كانوا محتلين لمصر ، وأن مصر التي مر على عروبته أربعة عشر قرناً لا تزال غير عربية ،
وأن الذين تولوا الحكم في مصر من أبناء الأمم الإسلامية الأخرى كانوا يمثلون احتلالاً

(١) في مجلة آخر ساعة العدد ٩٠٥ الصادر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ .

أجنيباً ، متجاهلين ما كان بين هؤلاء وبين المصريين من وحدة العقيدة وآصرة الإسلام واتحاد الهدف من زمن الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن . فنشأ في مصر بسبب هذه الدعايات نشء إذا أراد أن يتساءل ، من نحن ؟ ، يمر في ذهنه طائف من الشكوك في أن مصر عربية ، وأن الإسلام دخيل طراً عليها . والطلبة الذين لا يجدون في مناهج تعليمهم ما يعرفون به حقيقة الإسلام ، معذورون إذا صدقوا أن الإسلام أثر من آثار الاحتلال .

يقول الرئيس محمد نجيب - سدد الله خطاه ، وحقق له أمانيه الصالحة - في كلمة له القاها في مدرسة القبة النموذجية الثانوية ، وقد نشرناها في الجزء الماضي (ص ٣٨٣) : « إن الدين أساس الاخلاق . ولقد تلقيت تعليمي في السودان في مدرسة كان يشرف عليها إنجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ، ولذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لإيماني بأن الدين أساس الاخلاق لا أمانع في تدريس الدين ، حتى الدين اليهودي ، بشرط أن يكون في أيد أمينة ، وأنا أحب أن نقيم الاخلاق على تعاليم الدين . »

وأنا أقول للرئيس محمد نجيب : إن مدرسة القبة الثانوية ليس بها مسجد لأن الدعاية التي كانت منتشرة مع تيار العهد المنصرم ، كانت تنسكرك للإسلام وتربية النشء عليه ، وكان القائلون عليها يعتبرون العروبة والإسلام احتلالاً ، ولذلك فإن جميع الطوائف التي تعيش في مصر - من كاثوليكية أو أرثوذكسية أو يهودية - تعتنى في مدارسها بآداب دينها وعقائدها ، وتبث ذلك في قلوب أبنائها ، حتى يجري في عروقهم مع دمائهم . أما المسلمون فأيتام ، ليس لهم من يحقق لأبنائهم أمنية الرئيس محمد نجيب التي أشار إليها في كلمته ، فلا عجب إذا أدهشه أن لا يرى في مدرسة القبة النموذجية الثانوية مسجداً ، ولو وجد فيها مسجداً لراهم قد اتخذوه مخزناً للهملات ، ولو لم يشغلوه بالهملات لكان من المستبعد أن يكون في المدرسة تلاميذ تربوا على الخوف من الله والرجاء له واللذة بالوقوف بين يديه خلف إمام تعنى المدرسة بإشرافه عليهم في دينهم كأشراف ، رنى الرياضة البدنية عليهم في ألعابهم اليومية .

إن الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر تحدث عن التعليم في المدارس المصرية حديثاً نشرناه في جزءه صفر من هذه المجلة (ص ١٩٨ - ٢٠٠) فكان مما قاله : « إنه تعليم جاف

لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن . ولا يصل حاضر الأمة بماضيها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، ثم قال : « ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلا عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية ، يعلمون أنها أسست لآبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم اضطروا إلى الرضا لآبنائهم بهذه المدارس الغربية عنهم ، العاربة من أمس حاجاتهم القومية والمالية ، فراراً من ناحية الضعف التى أزمئت عللها فى مدارسنا ، واستشرى دأؤها مدة نصف قرن وأكثر ،

وكل هذا متفرع عن الأصل الأصيل وهو أن القائمين على وزارة المعارف المصرية من نصف قرن إلى الآن لا يبدون أن يعترفوا بأن مصر بلد إسلامى ، ولو عرفوا ذلك واعترفوا به لربوا أبناء هذه الأمة تربية إسلامية ، لكنهم لا يفعلون ، لأنهم إذا تساموا من من نحن ؟ ، قد يخطر على بالهم أن يجيبوا عن هذا السؤال بعشرين جواباً ليس فيها جواب واحد ينطقون به بشجاعة وصراحة قائنين : « نحن مسلمون » . ولو أنهم عرفوا بأنهم مسلمون وأنهم مؤتمنون على أبناء أمة إسلامية ، لاستعدوا الاستعداد التام لتربية التلاميذ المسلمين تربية إسلامية ، كما يربى التلاميذ الأرثوذكس فى المدارس الأرثوذكسية تربية أرثوذكسية ، وكما يربى التلاميذ الكاثوليك فى المدارس الكاثوليكية تربية كاثوليكية ، وكما يربى التلاميذ اليهود فى المدارس اليهودية تربية يهودية . وإذا كان هذا لم يتحقق قبل الآن ، فذلك لأن البلد لم يكن فيه رجل قوى جهير الصوت كالرئيس محمد نجيب ينادى بأعلى صوته صادقاً مخلصاً : « إن الدين أساس الأخلاق ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

أما وقد قالها هذا المصلح السليم الطوية المخلص لامته ووطنه ، فقد آن لوزارة المعارف أن تعلم أن هذا هو طريق العهد الحاضر فى التعليم ، ومن الجناية على الوطن إضاعة سنة أخرى حتى نستعد لذلك فى العام الآتى ، وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فينبغى أن تصدر الأوامر والمنشورات من هذه الساعة إلى نظار المدارس ومدرسيها جميعاً بملاحظة ذلك ومحاوله تحقيقه من صميم القلب وبكل الوسائل الممكنة على قدر الطاقة ، إلى أن ترسم له الخطط الثابتة من بداية العام الدراسى القادم ، وأن يعتبر المتأسىء فى هذا الأمر عضواً أشل فيبادر إلى بتره حالا .

لقد كنا فيما مضى لا نعلم ، من نحن ؟ ، بشهادة سياسي كبير من رجالنا .

أما الآن فيجب أن نعلم ، أننا مسلمون ، ويجب أن تقوم تصرفاتنا كلها على هذا الأساس ، وأن ترمى أعمالنا إلى هذا الهدف ، وأن نلاحظ ذلك في كل حركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا .

• • •

ويأتى بعد ذلك موقفنا من أسرة العروبة ، ومنزلة الكرسي الذي يمثل مصر في جامعة الدول العربية ، والاثر الذي تركه فينا تكلمنا بلغة العرب وتأدينا بالأدب العربي من زمن عمرو بن العاص إلى اليوم .

إن القومية في القبيلة وحياة البادية مناظها الانساب ، لأن حياة القبيلة قائمة على الانفراد والازواء في دائرتها في أغلب الأحوال .

أما الحضارة فإنها بوتقة تذيب فيها الاصول والانساب ، والعبرة فيها لرابطة اللغة أولا ، وللصالح المشتركة ثانياً . فتتجانس فرنسا - مثلاً - ليسوا جميعاً من أصل واحد ، والفرنسي فيها يكون فرنسياً ولو كان جده الثاني إيطالياً أو إسبانياً . ونابليون بونابرت - وهو من مفاخر فرنسا - مولود في الجزيرة الإيطالية كورسيكا ، من أبوين كانا يتكلمان اللغة الإيطالية . بل يقال عن بسمارك إن أجداده من أصل صقلبي ، وكثير من سكان ألمانيا الشرقية تجرى في عروقهم الدماء الروسية . والكاشاني الذي هو اليوم في مفاخر إيران عربي قرشي يعرف نسبه في بني هاشم . وكال أتانورك من سلايك ، وقد يكون جده الثالث من أصل غير تركي . بل أكثر سكان الأناضول إما من أصل رومي أو من سلالة الحيثيين الذين تقول التوراة عنهم إنهم إخوة الكنعانيين (أي الفينيقيين) ، وهؤلاء أصابهم من نجد العربية ومن سواحل الأحساء على الخليج الفارسي . فهذه الاعتبارات التاريخية في الاصول والانساب لم تمنع سكان أي قطر متمدن من أن يفتخروا إلى قومية اللغة التي ولدوا يتكلمون بها ، ونشأوا متأدين بأديانها ، وقد تكون لغتهم وآدابها حديثة عهد من بضع مئات من السنين . أما مصر التي تتكلم اللغة العربية من أربعة عشر قرناً ، وتتأدب بالأدب العربي حتى صارت لها فيه الإمامة والقيادة ، فإنها لا تزال تتسامل ، من نحن ؟ . ويريد بعض حملة الأقلام فيها أن

يقولوا إن العربي لا يكون إلا أعربياً ، فإن لم يكن أعربياً فلا تكفي عراقته في العربية وآدابها أربعة عشر قرناً ليقول بملء فيه ومن صميم قلبه ، نحن عرب مصريون ، كما يقال في العراق ، نحن عرب عراقيون ، وكما يقال في سوريا ، نحن عرب سوريون .

إن الأسيوطي أسيوطي ومصري لأن أسيوط جزء من الوطن المصري ، والمصري مصري وعربي لأن مصر جزء من الوطن العربي ، والعربي المسلم عرب ومسلم لأن الوطن العربي جزء من العالم الإسلامي . وكذلك الأندونيسي المسلم أندونيسي ومسلم لأن أندونيسيا جزء من العالم الإسلامي ، والباكستاني المسلم باكستاني ومسلم لأن باكستان جزء من العالم الإسلامي . وكون الأسيوطي أسيوطياً ، لا يتعارض مع كونه مصرياً ، وكون المصري مصرياً ، لا يتعارض مع كونه عربياً ، وكون العربي المسلم عربياً ، لا يتعارض مع كونه مسلماً . فكل فرد منا إذا اعتبر نفسه في مركز دائرة فإن بلده الذي ولد فيه هو الدائرة الصغيرة الأولى حول النقطة المركزية ، ومصريته هي الدائرة الثانية التي تلي الدائرة الأولى ، وعروبه هي الدائرة التي تلي مصريته وتشملها ، وجامعته الإسلامية هي الدائرة الكبرى الجامعة التي تحيط بذلك كله ولا تتنافى مع شيء منه .

من نحن ؟ هذا السؤال يجب أن لا يتبقى بلا جواب . ومتى عرفنا من نحن ، عرفنا المشاركين لنا في المصالح ، والخارجين عنا فيها ، وعرفنا واجباتنا نحو ما ننتمي إليه ، لأنها في الواقع واجباتنا نحو أنفسنا . وهذه المعرفة التي يتم بها الجواب عن السؤال الأول من الأسئلة الأربعة التي وجهها الأستاذ محمود فوزي إلى نفسه وإلى أمته ، كقيلة بالجواب عن الأسئلة الثلاثة الأخرى ، فنعرف أين نحن ، وماذا نريد ، وما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ وعلى معاهد التعليم كلها ، من يومنا هذا ، أن لا تسكتني بأن تعرف من نحن ؟ ، بل تستعد لتعريف ذلك لأبناء الجيل كلهم من طلبة المدارس ، حتى إذا آمنوا بمصريتهم وعروبتهم وإسلامهم ، تجندوا للعمل بهذا الإيمان ، يوم يتولون أمانة الوطن في حكومته وأسواقه ومرافقه ومعاهده ، وكان بذلك البعث الذي ينشده العهد الحاضر ، ويعمل لتحقيقه ؟

حبيب الدين الخطيب

السياسة

حقوق الكفياة

تقدير الكفيايات - مثلان في السياسة العليا -
جيش الامراء - مكان الحب وابن الحب - طمن
في غير مطمن - الإسلام يحو العصبية - أروع
الامثال في إكبار الفادة .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : بعث النبي ﷺ بعثنا ، وأمرهم أسامة
ابن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته . فقال النبي ﷺ : إن تطعنوا في إمارته فقد
كنتم تطعنون في إماره أبيه من قبل : وإيم الله إن كان خلقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب
الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده ، رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

مرآتية كالميتة

إذا كان من حقوق الأمة على بنينا أن يسخروا قواهم لخيرها ، ويجندوا أنفسهم لعضها
ومجدها ، فإن من حقوق أقويانها الامناء ، وعلماؤها الاتقياة ، أن يكونوا موضع الثقة والعناية
منها ، والتجلة والإعزاز فيها ؛ كل له مقام معلوم ، ومكان محفوظ ، كفاء ما وهب الله له
من موهبة ، وما منحه من فضيلة ، وما آناه من قوة في الحق ، وبصر في تقدير الامور .

وبتقدير الامم للكفيايات وحدها ، دون أن يكون للعداوة أو المحبة أو غيرهما سلطان ،
في تولية أو حرمان - تستقيم أمورها ، وتصلح شئونها ، ويشند بنياؤها ؛ لاسها وقيت شر
النحاسد والنحاقد ، والنقاطع والتباغض ، إلى غير أولئك من معاول الهدم فيها والقضاء عليها !

حسبك من السياسة الرشيدة أن تقدر الكفيايات قدرها ، وتسد الامور إلى أهلها ،
غير ناظرة إلا إلى المصلحة الخالصة وحدها ، فإذا صاحب الكفياية تقرير قاعدة من قواعد
الإصلاح ، أو تثبيت أصل من أصول التربية ، أو هدم عامل من عوامل الفساد - فذلك
منتهى السمو في سياسة الشعوب ، وغاية الرشد في قيادة الامم .

وفي هذا الحديث من ضروب السياسة العليا، التي يهدي بها النبي ﷺ أمته إلى طريق السكال الإنساني، مثلان: تأميره أسامة بن زيد حبه وابن حبه، على جيش عدته ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش، منهم كبار المهاجرين والأنصار، وفي طليعتهم الشيخان: أبو بكر وعمر، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح. بعث به إلى مشارف الشام، وهي حدودها مما يلي الصحراء. وكان هذا آخر جيش جهزه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وأول جيش أنفذه الصديق رضي الله عنه في خلافته؛ وتأميره أباه زيداً من قبله على جيش عدته ثلاثة آلاف كذلك، بعثه إلى مؤتة من مشارف الشام أيضاً، وولى عليه ثلاثة أمراء أولهم زيد؛ عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض ودفعه إليه، وقال: إن قتل زيد فأمركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأمركم عبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرض المسلمون برجل منهم، ومن هنا سمي هذا الجيش بجيش الأمراء.

ومن أعلام نبوته ﷺ أن ينهى الأمراء الثلاثة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فيقول: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فأصيب — وإن عني رسول الله ﷺ — ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله تعالى له.

ولحكم بالغة لم يول خالداً أول الأمر، قد يكون منها أنه حديث عهد بالإسلام؛ إذ لم يكن مضى على إسلامه قبل هذه الغزوة الأولى له أكثر من ثلاثة أشهر، فتوليته إذ ذاك لا تصادف من الجيش مرفعاً وقبولاً، وإذا اختلف الجيش فقل على النصر السلام!

وبعد أن شرف الله الأمراء الثلاثة بالشهادة في سبيله، نصر المسلمين على يد خالد نصرأ عزيزاً، وهزم عدوهم هزماً ذليلاً، وكانوا مائة ألف أو يزيدون.

جهز النبي ﷺ جيش الأمراء دفاعاً عن الإسلام، وتثبيتاً لقواعد السلام، وإرهاقاً لأولئك الذين اعتدوا على حرمة المسلمين، وقتلوا رسول الله ﷺ، مع أن الرسل لا تقتل! وإشهاداً للعالم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وبأن أساس النصر ليس كثرة العدد ولا قوة العدد، ولكن النصر من عند الله العزيز الحكيم.

ثم جهز صلوات الله وسلامه عليه جيش أسامة قبيل وفاته ، ونذب الناس لغزو الروم — وهم والفرس أعظم دول العالم حينئذ — وعقد بيده السكرية لواء أسامة ، وقال له سر إلى موضع مقتل أبيك ، وأغر صباحاً ، وأسرع المسير تسبق الخير ، فإن ظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم .

وبينا أسامة يتأهب للرحيل اشتد برسول الله ﷺ وجهه . وطعن قوم في تأميره على الجيش ، وعلى رأسهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي . فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ ، فغضب غضباً شديداً ، ولم يمنعه مرضه أن يخطبهم غضباً وأن ينكر عليهم الطعن في إمارته وإمارة أبيه من قبله ، وأن يوصي بإفخاذ الجيش إلى الوجهة التي ولاها ... ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى فأفخذ الجيش أبو بكر بعد استخلافه تنفيذاً للوصية النبوية التي تكشف الغطاء عن عظمتها وجليل آثارها قريباً .

سار الجيش كما أمر رسول الله ﷺ ، وأهضى عشرين يوماً أو تزيد ، قتل فيها قاتل زيد أبي أسامة ، وأرهب فيها عدو الله ، ثم عاد بعدها سالماً غانماً مهزماً منصوراً .

لم تقتصر إمارة زيد وابنه على هذين الجيشين العظيمين اللذين أشهدا العالم على عظمة الإسلام وعزته ، وبلوغه الذروة في كرمه وعدالته ، بل أمرهما النبي ﷺ على غيرهما من البعوث والسرايا ، وإن لم تبلغ مبلغ هذين الجيشين أهبة ووجوه وعديداً ، فهذه أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه ، وهذا سلمة بن الأكوع رضی الله عنه يقول : إنه خرج فيما يبعث النبي ﷺ من البعوث تسع غزوات يؤمر عليهم مرة أبا بكر ومرة أسامة .

ولا يعني هذا أن نفصل أبناء هذه البعوث والسرايا ، فقد تكفلت بها كتب السير والمغازي ، وإنما يعني أن نتبين منها كفاية زيد وابنه ، وأن كلا منهما أهل للإمارة بحق ؛ وأن نتبين كذلك خبرة النبي ﷺ وثاقب نظره في الرجال وحسن اختيارهم . حتى إن العرب على مراسم للحرب وبلادهم فيها لم يستطيعوا أن يطعنوا في كفايتهما الحربية ، ومقدرتهما الفائقة التي جعلت من زيد أميراً فوق الأمراء ، بل رشخته لأن يكون خليفة لخاتم الأنبياء ، على خير أمة أخرجت للناس . ثم جعلت من ابنه أسامة — وهو غلام حدث لم يجاوز الثامنة

عشرة — قرنا لآبي بكر وعديلا له ، بل أميراً عليه وعلى المشيخة من المهاجرين والانصار ، ومنهم صاحب البلاء الحميد . في البأس الشديد .

وإذا لم يكن للطاعين مطعن في كفايتهما وحسن بلائهما ، فإن مطعنهم في أمر وراه الكفاية ، سنكشف الغطاء عنه على أثر للمامة بمكان أسامة وأبيه من العرب ، ثم من النبي ﷺ . كان زيد مع أمه في زيارة أخواله فأغارت خيل في الجاهلية على آيات لهم فاحتملوا زيذاً في صبية معه وقدموا به إلى سوق عكاظ . وكانت خديجة أوصت حكيم بن حزام ابن خويلد أن يتباع لها غلاماً ظريفاً عربياً إن قدر ، فأعجبه كيس هذا الصبي وظرفه ، فابتاعه وقدم به على عمته ، ففرحت به وأكرمته . حتى تزوجها رسول الله ﷺ وهو عندهما ، فلما أعجبه ظرفه وأدبه استوهبه منها فوهبته له . فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج في إبل لآبي طالب بالشام مر بأرض قومه فعرفوه ، ثم قدم أبوه وعمه وأخوه يفتدونه من النبي ﷺ بما يجب من الفداء ، فقال لهم أعطيتكم خيراً من ذلك : أخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، فقالوا جزاك الله خيراً فقد أحسنت وزدت على النصف . فلما أخيره صلوات الله وسلامه عليه قال ما أنا بمختار عليك أحداً أنت مني بمنزلة الأب والعم ، فلما رأى أنه آثره على أبيه وعمه وأخيه خرج إلى حجر إسماعيل وقال : اشهدوا على أنه حر ، وأنه ابني يرثي وأرثه ، فطابت أنفسهم بذلك لما رأوا من كرامته عليه .

ولم يزل يدعى في الجاهلية زيد بن محمد حتى نزلت الآية الكريمة ، ادعواهم لآبائهم ، فدعى زيد بن حارثة ، وشدد النبي ﷺ النكير على دعاه أحد إلى غير أبيه وهو يعلم . وللقضاء على هذه الدعوى المنكرة أحل الله تعالى للتبني أن يتزوج زوجة الدعي إذا طلقها وقضت عدتها ، وأمر نبيه أن يتزوج زيبب بنت عمته أميمة ، وكان زوجها زيذاً ، لمسكاته عنده ، غير أنها كانت تتعالى عليه وتفخر بحسبها ونسبها ، وكان يشكوها إلى النبي ﷺ في قصة طويلة معروفة .

وورث أسامة أباه في الفضل والنبيل ، والكياسة والسياسة ، والكفاية في الإمارة وعظيم البلاء فيها . كما شارك أباه في حب النبي ﷺ له ، وثقته البالغة به ثم في عده من موالى قريش وعتقائهم تبعاً لآبيه من قبل .

هذه عجالة خاطفة في تاريخ الحب وابن الحب ترينا مكانهما من النبي ﷺ ومن العرب ، وأن ما لصق بهما من العتق والولاء إن يكن ذنباً فلا يد لها فيه ولا عيب عليهما به . وحسبهما أن الله أنعم عليهما ورسوله ، فأخرجهما من ظلمة الشرك ، ومذلة الرق .

أفرايت كيف طعن الطاعنون في زيد وابنه ، وشق عليهم أن يكونوا تحت إمرة مولى من مواليهم وعتيق من عتقائهم ؟ بله غلاماً حدثاً يتأمر عليهم ولما يبلغ العشرين من عمره لأنها الانفة والكبر والعصية التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لمحورها واجتثاث أصولها ، قولاً وعملاً وسيرة وهدياً ، لأنها من أشجار الفتن ، ومعاهد البلايا والمحن في كل أمة تمنى بها ومن أحق بأن يحمله شرف القضاء عليها من حبيبه ، وأقرب الناس إليه .

يضاف إلى كفاية زيد وابنه ، وما صاحبها من بناء قاعدة المساواة بين الناس جميعاً ، وهدم دعامة الفخر بالاحساب والانساب — أن زيداً أعلم بالجهة التي انتدب إليها ؛ لأنه نشأ فيها ؛ ولأن قومه منها ؛ ثم إن ابنه أولى الناس بالقصاص من قاتل أبيه ؛ فاختياره أحياء لنفسه ، وأبعث لهنمه ، وأجدر ألا يدخر منها في سبيل الله وسعاً ، وكذلك كان .

رأى هذا كله وأكثر منه كبار أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يطعنوا ولم يعترضوا ، وإن رغب بعضهم في أن يتوجه جيش أسامة وجهة أخرى لمحاربة المرتدين ، كما رغب بعضهم أن يستبدل بأسامة من هو أكبر منه سناً ، وأسبق في بلاء الحروب قدماً ، وهنا يضرب الصديق أروع الأمثال حزماً وعزماً ، ويأبى كل الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة دون أن يغير في قضاء رسول الله ﷺ شيئاً ، ثم يزيد في إكبار القائد الحدث وإجلاله ، فيستأذنه في إبقاء الفاروق بجانبه ليكون له ردهم وأعوناً على مهمات الخلافة وأعبائها ، ثم يودع الجيش ماشياً ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركن أو لا تزلن ، فيقول الخليفة ، التي لم تزد الخلافة إلا تواضعاً وإنكاراً لذاته : والله لا تنزل ولا أركب وما عليّ أن أغر قدي ساعة في سبيل الله ؟

* * *

أورأيت كيف يصنع الله لنبيه ؟ وكيف يهديه في سياسته ، وكل شأن من شئونه وشئون أمته ، التي هي أقوم ، ويجمع له في الأمر الواحد ما تفرق من قواعد الإصلاح ، ودعائم الرشد والفلاح ؟ ، الله أعلم حيث يجعل رسالته .

طه محمد الساكت

تطهير الأداة الحكومية في تاريخ الإسلام

١ - الحكم في الإسلام :

الحكم في الإسلام جزء من شريعته ، وواجب لا يتم الدين إلا به . وينبغي أن يقوم هذا الحكم على العدل الذي أمر الله به ، فلا ينحرف عن دستور الإسلام الذي أنزله الله بالحق كما خلق السموات والأرض بالحق .

يقول الله عز وجل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، . » . ويعلق على هذه الآيات شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : « فالملقود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط ، في حقوق الله وحقوق خلقه ... فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد . ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف . وقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف ، (١) . ويقول المودودي ، فالمراد من الحديد في الآية القوة السياسية . والآية قد بينت ما تبث الرسل لأجله ، وهو أن الله قد أراد ببعثهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله الله عليهم من البينات ، وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أي نظام الحياة الإنسانية العادل ، (٢) . »

وإن الحكم الإسلامي ينبغي أن ينتهج كل طريق يوصل إلى العدل والقسط والحق . فما كان في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهو واجب الاتباع ، وما لم يوجد منهما بالنص ولكن وافق مقاصد الشارع وسائر روحه وقاس على أحكامه ولم يعارض فيها شيئاً فهو مقبول إذا اقتضته حاجة الناس . يقول ابن القيم ، فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أسنة العدل وأسفر صبحه بأي طريق كان فتم شرع الله ودينه ، ورضاه وأمره .

(١) السياسة الشرعية - طبعة دار الكتاب العربي ص ٢٤ . (٢) نظرة الإسلام السياسية .

والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدله وأماراته في نوع واحد ، وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لاتراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد - وليكن نه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ، ولن تجد طريقاً من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها . وهل يظن بالشرعية الكاملة خلاف ذلك ؟؟ ولا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة ، بل هي جزء من أجزائها ، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلاً فهي من الشرع ، (١) .

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية بتأليف جلييلة في سياسة الحكم على أساس إسلامى . منها كتاب الاموال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام وكتابا الخراج ، وأحدهما لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٢ هـ ، والآخر ليحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، ويتعلقان ببحث السياسة المالية . أما السياسة العامة ففي مقدمة مؤلفاتها ، الاحكام السلطانية ، لأبى حسن الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، و الاحكام السلطانية ، لمعاصره القاضى أبى يعلى ، ثم السياسة الشرعية ، فى إصلاح الراعى والرعية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، وكذلك ، الطرق الحكيمية فى السياسة الشرعية ، لتلميذه ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رضى الله عنهم أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ - سمعة الحكم :

يقوم الحكم على دعامتين هامتين : عدل الحكم ، وعدالة الحاكمين بمعنى العدالة ، فى الفقه الشرعى .

فاستقامة الأوضاع على أمر الله ، واستقامة الأفراد على أمر الله ، صنوان لا غنى بأحدهما عن الآخر : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » . يقول المودودى « إن الحكومة الإسلامية تتطلب وتقتضى أن يكون سائر أجزاء حياتها الاجتماعية ، وجميع مقومات بنيتها الإدارية من الرعية والمنتخبين والنواب والموظفين والقضاة والحكام وقواد العساكر والوزراء والسفراء والنظار مختلف

(١) اعلام الموقعين - ٤ - ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

دواثرها ومصالحها - تقتضى أن يكونوا من الطراز الخاص والمهاج الفذ المبتكر ، وهي تطلب بسجيتها رجالا يخشون الله ويخافون حسابه ، يؤثرون الآخرة على الحياة الدنيا ، (١) .

لذلك حرصت دولة الإسلام من أول أمرها على طهارة الحكم وتطهيره على مدى الأيام . وفي مناقب عمر بن الخطاب لأبي الفرج بن الجوزي عن ابن سعد قال : كان عمر استعمل النعمان بن نضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال :

ألا مل أتى الحسناء أن حلما بميسان يسقى في زجاج وحتم
في أبيات يقول في ختامها :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تادمننا بالجوسق المنهدم

فلما بلغ عمر قوله قال : نعم والله إنه ليسوءنى ، من لقيه فليخبره أنى قد هزلته .

فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بهزله ، فقدم على عمر فقال : والله ما أحب شيئاً مما قلت ، ولكن كنت امرأة شاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعر . فقال عمر : والله لا تعمل لى على عمل ما بقيت (٢) .

فالإسلام حريص على سمعة الحاكمين ، لأن أخطاء الأمير ببقاء مشهورة ، والصغيرة منه كبيرة ، وهو محاسب على مجرد القول إن حوسب العامة على مقارنة العمل فقط .

والإسلام هنا لا يفرق بين الأخلاق الشخصية ، وبين القيام بالأعمال الرسمية ، لأن الإسلام لا يقيم الدولة لحفظ السكيان كائناً ما كان ، ولكنه يقيمها لإعلاء المثل العليا الإنسانية التي أتى بها الإسلام ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، . يقول المودودى : ... ويبدو لمن أنعم النظر في دستور الدولة الإسلامية وغايته الحكيمة ووضعيته الإصلاحية ، أن هذه الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهذا الدستور ، وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين لم يخضعوا لبرنامج الإصلاح ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية لحسب ، بل كان الإيمان بصدق تعاليمه قد تغلغل في عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات ، (٣) ويقول : إن إعلاء كلمة الله

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) مناقب عمر لابن الجوزي - أشهر مشاهير الإسلام - المجلد الأول - ص ٢٩٩ .

(٣) نظرية الإسلام لسياسة .

والدعوة إلى القيام بها تحتاج إلى رجال ذوى صلاح يتقون الله في السر والعلان ، ممن لا يلهمهم عن العمل بالشريعة والاستمساك بعروتها شيء من مطامع الدنيا ، ولا تصرفهم عن ذلك العقبات والشدائد ، (١) .

ولقد كان الإسلام في أحكامه حربياً في إقامة الاعتبار المعنوى والقانونى للشخص على الأساس الاخلاقى ، ففي رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعري : « المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، وأسقط الفقه الإسلامى عدالة من اعتادوا بعض التصرفات ، أو امتنوا حرفاً فيها مساس بالكرامات ، وفي علم الحديث بلغ « التعديل والتجريح ، مبالغه ، فكيف بمن يلى للسليدين أمراً من الأمور ؟؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الأئمة متفقون على أنه لا بد في المتولى من أن يكون هدلاً أهلاً للشهادة ، (٢) .

٣ - نزاهة الحكم :

فرض القرآن الكريم النزاهة قاعدة للحكم الإسلامى ، فقال تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ، ولقد حذر الحديث الشريف من كل ما فيه شبهة أو ظنة ، ولو كان هدية لا رشوة ، أورد أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود أن النبى ﷺ استعمل رجلاً من الأزد على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدي إلى . فقال النبى ﷺ : « ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي إلى ؟؟ فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أهدي إليه أم لا !! والذى نفسى بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبحر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى لإبطيه وقال : « اللهم هل بلغت ؟؟ . قالها ثلاثاً ، .

ولإنما تتحقق نزاهة الحكم بأمرين مهمين : عدم استلاب شيء من بيت المال وعدم استلاب مافى جيوب الخلق استغلالاً للنفوذ .

ولقد وجه الأنظار إلى الحرص على مال الدولة بوضوح وقوة صاحب السياسة

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) السياسة الشرعية ص ١٩ .

الشرعية ، (١) حيث يقول : « وليس لولاة الاموال أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ملكه ، وإنما هم أمناء ونواب ووكلاء - ليسوا ملاكا كما قال رسول الله ﷺ : « إني - والله - لا أعطى أحداً ولا أمنع أحداً ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت ، رواه البخارى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، فهذا رسول رب العالمين ، قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره ، كما يفعل ذلك المالك الذى أبيع له التصرف فى ماله ، وكما يفعل ذلك الملوك الذين يعطون من أحبوا ، وإنما هو عبد الله يقسم المال بأمره ، فيضعه حيث أمره الله تعالى ، . »

وأورد أبو جعفر الطبرى (٢) عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : « والله الذى لا إله إلا هو (ثلاثاً) ما من أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيه أو أمنعه . . . وما أنا فيه إلا كأحدهم ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ﷺ ، وقد وعى تاريخ الإسلام خطوات عمالية لتنفيذ ذلك ، ومحاسبة المتولين للامور المالية على ما تحت أيديهم ، والحرص بكل سبيل على نزاهة الاداة الحكومية وكانت المحاسبة تتم عن طريق الرؤساء وفى مقدمتهم الخليفة ، ثم تطورت بعد تدوين الدواوين وارتقاها واتساع دائرة الحكم فصارت فى يد جهات خاصة تتولاها . »

يقبع
مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم ر

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

أول معرفة الأخطل بجرير

قال محمد بن سلام الجمعى : حدثني شيخ من ضبيعة قال :
خرج جرير إلى الشام ، فنزل منزلاً لبني تغلب ، فخرج مثلثاً عليه ثياب سفره ، فلقبه رجل لا يعرفه فقال : من الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أما سمعت ما قلت لغاوى بني تميم ؟ (وأنشده مما قال لجرير) ، فقال له جرير : أما سمعت ما قال لك غاوى بني تميم ؟ (وأنشده) . ثم عاد الأخطل ، وعاد جرير فى نقضه ، حتى كثر ذلك بينهما . فقال التغلبى : من أنت ، لا حياك الله ؟ والله لكأنك جرير ! قال : فأنا جرير . . . قال التغلبى : وأنا الأخطل . . .

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

- ١ - تكلمنا فيما سبق عن نشأة الفقه الإسلامي وتدرجه حتى وصل إلى كماله ، وعن دور التقليد الذي أخذنا بحمد الله في التلخيص منه ، والآن نتكلم عن بعض خصائص هذا الفقه . ومن المفهوم أن لكل من القوانين التي عرفها البشر ما يتميز به عن القوانين الأخرى ، وبذلك يكون له طبيعته أو طابعه الخاص .
- وخصائص فقه الإسلام كثيرة ؛ ومنها ما يرجع إلى طبيعته نفسها ، وما يرجع إلى الأصول التي قام عليها ، وما يرجع إلى الوسائل التي يصطنعها في تقرير أحكامه في العقول والنفوس ، وما يرجع إلى الغاية التي يهدف لها ويرضاها الشارع الحكيم الأعظم للعالم كله . وليس من الممكن استيعاب هذه الخصائص ، ولو بإجمال في كلمة أو كلمات معدودة ؛ ولهذا لا بد من الاكتفاء بالكلام عن بعض هذه الخصائص ، ومن الرضى بالإجمال بدل التفصيل .
- ٢ - وأول خاصة للفقه الذي نعرفه للإسلام ، أنه يرجع في أصوله وأساسه إلى وحى الله تعالى ، هذا الوحي الذي يتمثل في القرآن والسنة . وكان هذا ، لأن الإسلام جاء للعالم والإنسانية عامة بعد الديانات السابقة ، التي كانت محدودة في الزمان والمكان ، وبعد أن استفد كل منها أغراضه وأدى رسالته ، فأصبحت البشرية تحس الحاجة الشديدة لدين جديد ، يكون خاتم الأديان التي عرفت . وكان هذا الدين هو الإسلام ، وكانت وسيلته — لتصل الإنسانية إلى ما ترجوه من حياة العز والكرامة والسعادة — بيان العقيدة الحقة وتقريرها ، وتشريع القوانين التي يصلح بها العالم على اختلاف الزمان والمكان ويسعد بها الفرد والجماعة . ولا عجب في هذا ، فلم يتنزل وحى الله بالإسلام ليكون ديناً لجنس دون آخر ، ولا لامة دون أخرى ، بل للعالم جميعاً على اختلاف ألوانه وأجناسه ومواطنه ، وعلى مر الزمن والقرون . ومن هنا كان لا بد أن تكون تشريعاته عن الله العليم بمحاجات البشر عامة ، الخبير بما يصلحون عليه في العاجل والآجل من الزمان ، بل وفي الدار الأخرى أيضاً .
- ٣ - أساس هذا الفقه هو إذاً ما جاء في كتاب الله الحكيم وسنة رسوله العظيم ﷺ ، وفي هذين المصدرين الكريمين المقدسين نجد الأسس العامة ، بل التفصيلات في حالات كثيرة يجب فيها التفصيل ، لكل ما عرف العالم من قوانين حديثة عديده :

المدنى المالى ، الجنائيات ، الدستورى ، الدولى ، وغير ذلك كله من فروع القانون وأقسامه . وكل فقيه من فقهاء المسلمين ، رضوان الله عليهم جميعاً ، يرى نفسه مقيداً بنصوص القرآن وسنة الرسول ، ويجد فيهما غناء أى غناء ، فإن أعوزه النص من القرآن المحكم والسنة الثابتة الصحيحة ، كان له أن يجتهد مستلهماً روح الإسلام وأصوله ومقاصده . نريد أن نقول ، بأن على المجتهد المسلم أن يدور دائماً فى ذلك الكتاب والسنة ، وأن لا يتعدى فى اجتهاده مسارهما ، وإلا فلا قيمة لما يخرج به من رأى يؤدبه إليه عقل ناقص محدود القوى بطبيعته .

٤ — وقيمة أى قانون لا يجىء من إحكام وضعه وحسن تنظيمه فحسب ، ولا يتحقق ما يرجوه من أهداف وغايات بتنفيذه على غير رضى ممن وضع لهم ، إنما يكون ذلك كله إذا كان تنفيذه والنزول على تشريعاته مرجعه إلى اطمئنان النفوس له والإيمان ببعده ، وإلى الاعتقاد بأن فى طاعة هذا القانون المثوبة وحسن الجزاء .

وهنا نجد الفقه الإسلامى بلغ الذروة من ذلك كله ، بما نرى من قيام كل تشريعاه على ركائز ثابتة من الدين والأخلاق ، وهذا يجعل النفوس تؤمن بها كل الإيمان وترضى بها كل الرضاء ، لا فرق فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين . فلا يحاول أحد من المؤمنين بها التفلت من شئ من أحكامها وإن لم يخف سلطان القانون والقضاء . وقد يكون من الخيران أن تضرب بض المثل لما نريد بيانه ، ويكون فيها غنية عن كثير من المثل التى نراها على جعل الذراع لمن يريد :

(١) لا يعيش الإنسان فى قريته أو بلدة وحده ، بل له من أمثاله جيران يشركون فى كثير مما لا يستغنى عنه فى حياته . وهنا نجد القوانين الوضعية التى تختلف باختلاف من وضعت لها من الأمم والشعوب لا تعمل فى هذه الناحية أكثر من بيان ما للجار من حقوق على جاره ، ثم تقدير عقوبات لمن يخرج عليها . ومن ثم ، نجد خصومات كثيرة نجد من هذه الناحية ، ويصل الكثير منها للقضاء ، على أن هذا لا يمنع من بقاء العداء بين المتقاضين .

لكن الله العليم بما فطر عليه الإنسان من حب النفس والأثرة ، وبأنه لا يقبل تنفيذ القانون إلا بوازع قوى من ضميره يخرسه فيه الدين ، نراه يؤكد قبل كل شئ ما للجار من حقوق وما عليه من واجبات لجاره ، ويذهب فى هذا السبيل إلى حد أن جعل القيام بحق الجار أمراً مفروضاً يجىء بعد الإيمان بالله جل وعلا ، فيقول فى سورة النساء : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب ، . ثم نرى الرسول ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، وفى حديث آخر : « فليكرم جاره ، .

وبعد أن يقدر القرآن والسنة حق الجار هكذا على جاره ، تغدو مهمة الفقهاء والمشرعين هيئة يسيرة : فما عليهم إلا أن يبينوا هذه الحقوق ، وما يقابلها من الواجبات ، فإذا بالمؤمن بالله وكتابه ورسوله يسارع لإعطاء الجار حقوقه ، ما دام وحى الله - المتلو وغير المتلو - يأمر بإكرام الجار وليس لحسب بإعطائه حقوقه . وحينئذ لسنا في حاجة للقضاء ، إلا للمعالجة من لم يخالط الإيمان قلوبهم وينزع ما فيها من عوامل الأثرة والظلم .

(ب) وجرى الأمر أيضاً على هذا المنهج الحكيم فى فرض الزكاة والجهاد فى سبيل الله والوطن . فإن الله ، جلت حكمته ، يعلم ما فطر عليه الإنسان - إلا من عصم الله من مصطفىه الأختيار - على الشح بالمال والنفس ، ولذلك ترى الشارع الأعظم يهد لفرض الزكاة بأنها تطهر المال وتنميه وتزكى النفوس . فقال : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، ثم ترى الرسول يقول : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً ، كما جاء فى البخارى ومسلم . أما فيما يختص بالجهاد ، فنجد القرآن يقول : « إن لله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ، ويقول : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ، . وبعد ذلك ، نجد الرسول يؤكد هذا فيقول : « لغدوة فى سبيل الله أو روحه ، خير من الدنيا وما فيها ، ، ويقول : « تكفل الله لمن جاهد فى سبيله ، لا يخرج من بيته إلا الجهاد فى سبيله وتصديق كلماته ، أن يدخله الجنة أو يردده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة ، .

وكان لهذا المنهج النفسى الحكيم لتشريع الجهاد فرضاً على المؤمنين ، ونشراً للإسلام وذياداً عنه وعن الوطن ، أثره البالغ فى تحبيب الاستشهاد إلى المؤمنين ، حتى إن جابر بن عبد الله يقول للنبي عليه الصلاة والسلام يوم أحد : « رأيت إن قتلت ، فأين أنا ؟ ، قال فى الجنة ، فألقى ثمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل .

• - وبعد ذلك ، فهناك خاصة أخرى للفقه الإسلامى تنصل من قرب بسابقتها . إن القانون الوضعى يمكن أن يعرف بأنه « مجموعة القواعد التى تنظم الروابط الاجتماعية ، والتي تقر الدولة الناس على اتباعها ولو بالقوة عند الاقتضاء ، »^(١) . ومن هذا التعريف يتبين أن من خصائص القانون جزاء من يجرد عن أحكامه ، إلا أن هذا الجزاء يكون دنيوياً بطبيعة الحال ، لأن واضعه لا يملك شيئاً من أمور الآخرة وما فيها من ثواب أو عقاب ، بل لا يملك

(١) أصول القانون للأستاذين عبد الرازق السنورى وأحمد حشمت أبو سبيت ، ص ١٣ .

لنفسه نفعاً أو ضرراً في هذه الحياة الدنيا. ومن أجل ذلك، لا جناح على من يستطيع الإفلات من هذا الجزاء الدنيوي، اللهم إلا تأنيب الضمير.

كما أن القانون ليس له إلا غاية نفعية، هي تنظيم المجتمع واستقرار أموره على النحو الذي يفهمه واضع القانون، وهذه الغاية النفعية محدودة، لأن عقل واضعه قاصر محدود. ومن ثم، ترى القساوين كثيراً ما يبيح أموراً لا تتفق مع الدين الحق والخلق الصحيح وفائدة المجتمع البعيدة، مثل الزنا، وشرب الخمر، والقمار في بعض صورته.

أما الفقه الإسلامي، وهو قانون سماوي شرعه الحكيم العليم المحيط بالعالم كله ما كان منه وما لا يكون، فهو يهدف لسعادة المجتمع القريبة والبعيدة والدائمة، لا المنفعة العاجلة المحدودة فقط، وهو يثيب ويعاقب في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى الخالدة. ولذلك يحس المؤمن به بدافع نفسي ووازع قوي يجعله بطيع ما يأمر به وينهى، حتى ولو أمكن له أن يكون بنجوة من عتابه في الدار الدنيا. وليس كهذا باعثاً على إثبات التشريعات في رضى من النفس واطمئنان.

والتشريعات الفقهية تقصد لصالح الفرد والمجتمع في كل آن ومكان، وهذه غاية نفعية بلا ريب. إلا أنها تعمل على بناء مجتمع يكون مثالياً نقياً بما يشوب الدين والخلق وبجاقهما، كما أنها تعمل أيضاً على أن يذبح الإنسان من نفسه للقيام بواجبه نحو خالقه ونحو نفسه وإخوانه في الإنسانية.

٦ — وهنا نجدنا نصل إلى الحديث عن خاصة هامة أخرى للفقه الإسلامي، وهي خاصة لها خطرها هذه الأيام التي اشتجرت فيها الحرب بين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية، ونعني بهذه الخاصة النزعة الجماعية، التي تسود الشريعة الإسلامية. ونريد بكلمة: «جماعية»، معنى أوسع من كلمة «اشتراكية»، التي أخذت معنى خاصاً هذه الأيام، حتى يشمل الناحية المالية وغيرها من الحقوق والواجبات جميعاً. وهنا نجد كثيراً من المثل التي لها قيمتها: (١) إن للحكام وولاية الأمور أن يسمع لهم الشعب والرعية، ولكن هذا الحق مقيد بأن يكون هدفهم المصلحة العامة للأمة جميعاً، وفي هذا يقول الرسول: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره»، مالم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وهذه الكلمة الجامعة تعبر خير تعبير عن أصل من أصول الحكم والسياسة العامة للدولة، إذ أنها تحدد بدقة العلاقة التي يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم.

(ب) ويروي أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى عام ٢٣٤ هـ . عن أبي عبيدة بن الجراح أن ناساً من أهل البادية سألوه أن يرزقهم من مال الأمة ، الذي تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق أهل الحاضرة أولاً ، فمن أراد بحجة الجنة فعليه بالجماعة ، وبمثل هذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يزيد بن الحصين يقول : « مر للجند بالفريضة : وعليك بأهل الحاضرة : وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدتهم . وهذا ليس معناه أنه ليس للبدو حق في بيت المال العام ، ولكن معناه أنه ليس لهم الحق في رواتب جارية في أهل الحاضرة بل على الدولة أن تعينهم في أوقات الشدة ، كما إذا دهمهم عدو أو أصابتهم جائحة في أرزاقهم ^(١) .

وربما جازلنا أن نشير بعد هذين المثليين ، تدليلاً على نزعة الفقه الإسلامي الجماعية ، إلى فرض الزكاة ، والحث على الصدقة وضروب البر المختلفة . وترك عمر بن الخطاب سواد العراق والشام بيد أهلها على أن توضع عليهم الجزية والخراج ، بل تقسيمه بين الفاتحين ، وذلك ليكون ما يحصل من ذلك عوناً وذاخراً للأمة جميعاً .

(٧) وهذه النزعة ترجع فيما نعتقد إلى أن الإسلام يعتبر أن الإنسان وكل ما يراه من حقوق له هو ملك لله وحده ، وهو يتمتع بها ما يريد للفرد لتحقيق الخير له وللجتمتع معاً على حين يرى القانون الوضعي ، وعلى الأقل في الماضي القريب ، أن الفرد هو كل شيء ، فما يجعله من الحقوق له يعتبر أمراً طبيعياً ، ولا حرج عليه حينئذ إن أساء استعمالها أو إن لم ير أن للجتمتع حقاً مفروضاً عليه .

وبعد ، هذه بعض الخصائص التي تجعل للفقه الإسلامي طابعاً خاصاً يتميز به عن القوانين الأخرى ، وهي خصائص من شأنها أن تجمل من الفرض على المسلمين في هذا الزمن دراسته بقصد الانتفاع به والإفادة منه على وجه عملي . وفي الكلمة الآتية ، وهي تمة هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، بيان الغاية التي نراها حقيقة بالطلب من دراسة الفقه هذه الأيام ، وبيان الوسيلة التي نراها لبلوغ هذه الغاية ، وبالله العون والتوفيق .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

أَكْلُ رِسَالَةِ اللَّهِ

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف

يحتفل العالم الإسلامي اليوم بمولد الإنسان الكامل، الذي اختاره الله لحمل أكل رسالاته إلى البشر كافة، فكان هذا الحادث في تاريخ الإنسانية الحد الفاصل بين الحق بموهباً بأهواء المتغلبين ومطامع المغالطين وأغراض الظالمين، فهو لذلك عرضة للتغيير والتبديل. وبين الحق الأبلج التي من شوائب الأهواء والمطامع والأغراض، فهو لذلك ثابت خالد إلى يوم الدين. إنه احتفال بمولد الحق مجرداً خالصاً صافياً، وبدعوة الخير عامة شاملة كاملة.

إنه احتفال بانتقال الإنسانية من عهد طفولتها ورعونتها، إلى ما ينبغي لها عند اكتمال نضجها وبلوغها عهد رشدها.

كل ذلك مما يحتفل به العالم الإسلامي اليوم، إذ يحتفل بمولد خاتم رسل الله محمد صلوات الله وسلامه عليه. وقد أكرمه ربه بما تحيف به ولادته من أصالة النسب وصفاء الفطرة وسلامة الخلق. ثم استرضع في بني سعد بين أخبية البادية وآفاتهما، فازدادت أصرته بالبيئة السعيدة البعيدة عن شوائب المجتمع. وكان كلها شب بعد ذلك ونمسا، اتسعت شهرته بين قومه بالأمانة والصدق والاستقامة في الطريق المستقيم، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال دعت السيدة خديجة بنت خويلد إلى الزواج بها، لما اشهر به من كريم الفضائل ومعالي الأخلاق، فأجابها إلى ذلك، ورأى فيها من الكمال والوفاء ما قابلها عليه باحسن منه.

ولما قارب أمر الرسالة، جعل يختل في غار حراء للتحنث والعبادة ومناجاة الله عز وجل، فكانت زوجه السيدة خديجة، رضى الله عنها، تساعد على ذلك وترسل إليه زاده في هذه الخلوة القدسية بينه وبين ربه.

وأن أوان بعثته العامة الشاملة إلى الأمم كلها عند ما بلغ من عمره الشريف نحو الأربعين، فأوحى الله إليه في سورة الأنعام — وهي عما أوحى به إليه في مكة قبل الهجرة — دقل الله شهيد بيني وبينكم، وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ،، فهو صلى الله عليه وسلم

نذير برسائته لمعاصريه ، ولكل من تبلغه دعوته في كل زمان ومكان تتلى بهما آيات هذا القرآن على السنة الأمم ، فتبلغ أحكامها وحكمها مسامع الاجيال ، ولأن رسالته عامة شاملة كتب رسالته المشهورة إلى ملوك الأرض في زمنه : قيصر وكسرى وهرقل والمقوقس والنجاشي وملكى عمان وغيرهم ، يوجه فيها الدعوة إليهم وإلى أهمهم بأن يدخلوا في دين الله . وقد تحمل صلوات الله عليه في سبيل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة ما كان يتحمل أنبياء قبله من الأذى والجفوة والصد عن قبول الحق ، إلى أن استجاب له الأناضار وبايعوه على الإيمان ، ثم نهضوا مع إخوانهم المهاجرين لمقاومة من يقف في سبيل الدعوة أو يصد عن انتشارها ، فكتب الله النصر لدعوة الحق في بدر ثم في غيرها ، إلى أن فتح الله لرسوله مكة أم القرى ، وتم تطهير بيت الله الأعظم من لوث الوثنية ، ودانت العرب كلها لهذا الدين القيم ، فما انتقل صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى حتى كان سكان جزيرة العرب كلهم ، قد آمنوا لإطائفة من اليهود والنصارى أبقاهم صلى الله عليه وسلم على دينهم ، ومنحهم ذمة الإسلام المتكفلة بحماية أنفسهم وأموالهم وشعائرهم .

ولقد عمل أصحابه الكرام رضوان الله عليهم بهدياته وساروا على سنته السنية ، فمضوا في الدعوة بده إلى دين الحق ، ملتزمين بما التزمه صلى الله عليه وسلم من العدل والرفقة والرحمة ومكارم الاخلاق ، لا يفرقون في ذلك بين من اتبع دينهم أو خالفه ، عملاً بقول الله عز وجل في سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وبذلك فتحت لهم الممالك ، واستجابت لدعوتهم الأمم ، ووجد شعوب الأرض في هذه الدعوة كل ما كانوا ينشدونه في مطالب الحياة من حقوق وموارث وآداب ومواعظ وأخلاق وحكم وإرشاد لاكمل الأحكام في الحرب والسلم ، وكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع الصالح في هذه الحياة . ومع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا من جزيرة العرب ليحققوا الانقلاب العظيم ، الذي أراد الله أن يكون به الحد الفاصل بين الحق والباطل ، كانوا قلة بالنسبة إلى الممالك والامبراطوريات التي واجهوها بدعوتهم ، فإن الله عز وجل جعل الغلبة لهم منذ تعلموا من هدايتهم القرآنية أن العبرة في الغلبة ليست للكثرة التي لم يلازمها الحزم والإخلاص للحق والصبر عليه ، وذلك في قول الله عز وجل من سورة المائدة : دقل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث ، ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الكثرة إذا تجافت عن الحق والخير بأنها دغناء كغناء

مجلة الأزهري

السيل ، ، وقال الله عز وجل في سورة البقرة : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، .

لجعل فضيلة الصبر على إقامة الحق من أسباب الغلبة والنصر ، ولو كان القائمون بالحق الصابرون عليه قليلا عددهم عند مواجهتهم الكثرة من أنصار الباطل ، وبهذا ربي الإسلام من أبنائه الأولين كتلة حازمة لا تهاب الموت في سبيل عزتها والدفاع عن حقها ، فعاش المسلمون الأولون سادة قادة زادة يحمبهم الحق ويحمونه ، وتعلمهم فضائل الأخلاق ويحملونها ، ويملاون الدنيا عدلا ورحمة ، وتحوطهم الدنيا بالعزة والغبطة الإعجاب .

ولما فشلت كثرة الباطل في قمع الحق الذي بعث به صاحب هذه الذكرى صلوات الله عليه ، أراد المبطلون في زمن البطن الأول من أصحابه أن يفسدوا دعوة الحق بالانتساب إليها ، ودس العقائد الباطلة فيها ، فأفشوا في بعض الضعفاء دعوة تأليه على عليه السلام ، وبعض من ينتمى إلى آل البيت ، فكان أول من غضب لهذه الدعوة وبطش بالمبطلين من أصحابها ، على نفسه كرم الله وجهه ، وبن ذلك اليوم انفتحت جبهة أخرى للدفاع عن الحق الذي بعث الله به رسوله ، بقيام طائفة من أئمة الإسلام في كل زمان ومكان يفرقون بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغنى والصدق والكذب ، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء ، وبهم حفظ الله دينه الذي وعد بحفظه إلى يوم الدين .

إن ذكرى مرلد صاحب هذا الانقلاب الإنساني العظيم تذكرنا بكل ما كان لهذه الدعوة من أثر عظيم في عمول البشر وأخلاقهم ومداركهم ، وبالنجاح المنقطع الظير لمن عملوا بها في أنفسهم ، وتطوعوا لنشرها بين الناس ، وهي تدعونا إلى أن نرجع من جديد إلى هداية الإسلام كما كانت في صفائها ونقاها ، ليرجع لنا أثرها من العزة في أنفسنا ودولتنا والسعادة في بيوتنا وأوطاننا ، والكرامة بين شعوب الأرض .

صلى الله وسلم على معلم الناس الخير وعسى الله أن يهدي أمته للرجوع إلى هذا الخير ، في هذا العهد الطاهر المبارك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

افنحوا للفتح أبواب الحياة

الفقه مجموعة الأحكام التي تنظم علاقة الناس بربهم وعلاقة الناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، فهو حلول ومخارج من المشاكل التي مست المجتمع فأشقت الحياة وأضرت بني الإنسان . وكما أن الطبيب المداوي لا يعالج من الأمراض إلا ما انتاب الأجسام ، كذلك الفقه ما كانت تشرع أحكامه إلا بقدر ما يحدث من قضايا وما يجد من جرائم وينشأ من مظالم ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز « تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ، . وأحكام القرآن الكريم إنما نزلت بسبب حوادث وقعت في عهد النبي ﷺ وأسئلة وجهت إليه ، وهكذا أمر الأحكام في السنة الكريمة .

والمجتهدون من عهد الصحابة ما كانوا يجتهدون إلا في حكم ما يجد من النوازل ، وكانوا يكرهون الإفتاء فيما لم يقع ، ولهذا روى عن معاذ أنه كان إذا استفتى في مسألة لم تقع يقول « أيها الناس ، لا تستعملوا البلاد قبل نزوله ، ، وروى مثل هذا عن عثمان وعلي ، وكان بعضهم يقول « دعوها حتى تقع ، ولما فتحت الممالك على المسلمين ونشأ فيها المجتهدون كالأئمة الأربعة وغيرهم فصلوا باجتهادهم في مشاكل هذه البلاد التي لم تكن في الغالب موجودة في منازل الوحي بحكم تغير العادات وكثرة مشاكل المدينة .

ولهذا رأينا القضايا التي ذكرت أحكامها في الفقه تمثل عادات البلاد التي دون لها ، فالفقه الحنفي يمثل حياة العراق وبلاد المعجم والهند ، والفقهاء المالكي يمثل حياة الحجاز والمغرب والأندلس ، والفقهاء الشافعي يمثل الحياة في مصر ، والفقهاء الحنبلي يمثل الحياة في العراق والشام ، والفقهاء الزيدي يمثل حياة اليمن ؛ وهكذا ، فمجموعة الأحكام المأثورة في المذاهب المختلفة إنما هي أفضية وفتاوى لأمور كانت وطلب فيها رأى الشريعة ، ومع هذا فإن بعض هذه الأحكام تغيرت ظروفها وتبدلت لتبدل عللها ومقتضياتها ، وبعض الأحكام التي كانت راجحة فيما مضى للمصلحة التي دعت إلى تشريعها أصبحت مرجوحة لتغير وجه المصلحة فيها ، ولا يزيد بهذا طبعاً الأحكام التي نص عليها الكتاب والسنة ،

وإنما نريد الأحكام الاجتهادية ، فإنه قد يتغير فيها وجه الاجتهاد لتغير الأسباب التي بنيت عليها . ومنذ المائة الرابعة . تقيد الفكر الفقهى نوعا ما ، فبعد أن كان الفقيه هو المجتهد المطلق الذي يستمد أحكامه من مصادرها الأولى : القرآن والحديث والإجماع وفتاوى الصحابة والقياس على المنصوص . أصبح يفكر في دائرة نصوص إمامه الذي يقلده ويتقيد بأصوله وفروعه . وإذا جدد قضية لم يجد لها في منقول إمامه وإلحاق النظر بالنظر ، ومع هذا استطاعوا على مر العصور أن يحلوا مشاكل المجتمع ويسعدوا حياة الناس ويظهروا عدل الله بينهم .

ومنذ عهد بعيد تعطل الفقه في باب العقوبات فلم يعد يفصل فيها بأحكام الشريعة ، ومنذ عام سنة ١٨٨٣ تعطل عمل الفقه في المعاملات المالية والتجارية وأصول التقاضي فلم يعد يفصل فيها إلا بالقانون الفرنسي المصمى فيما بعد ؛ فأصبح الفقه من هذا التاريخ عضوا أشل ومصباحا لا يضيء . ولسانا لا يتكلم ، لأن القضايا في المحاكم لم تعد تستقضيها ، ولأن مشاكل الناس لم تستفتيه ، على حين جددت بين الناس مشاكل جمة وقضايا معقدة دعت إليها المدنية وانتشار العمران والحروب التي نشبت والانقلابات التي حدثت ، كمشاكل الطيران والكهرباء والبخار والأسلحة الحديدية وأساليب جديدة في التجارة ومضاربات في البورصة وشركات تعقد على أوضاع مختلفة ومصانع تؤسس ، ولكل وضع من هذه حكم كان يستطيع شرع السماء أن يقوله وأن يستنبطه لو استفتى ، لكن استفتيت قوانين الناس ، والناس أفكارهم محدودة يؤثر فيها الزمان والمكان وتسخرها الأغراض والشهوات . ولو استشير الفقه لنتق لساه بالعدل الإلهي ونشر مصباحه النور السماوي ، وبعد هذا يقول الناس إن الفقه مقيد ، إن الفقه مسجون ، ولو حل قيده ، وخرج من سجنه وسأله القاضي والمفتي في كل ما يرفع من القضايا والاستفتاءات وترافع بنظرياته المحامي لكان قادرا ولكان خيرا وبركة على الناس .

فإلى أن تقضى المحاكم بالشرع الإسلامى في القريب إن شاء الله بفضل هذه النهضة المباركة التي قامت دعائها على الإصلاح الشامل ، ولا يصالح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها : إلى أن يكون هذا ، على الأزهر أن يمد له ؛ فيكتب الفقه من جديد ، ويقرأ القوانين الحديثة ليمرر ما جدد من القضايا فيحكم فيها بأحكام الشريعة ، وليعرف ما في القانون من نظريات أحكمها الأفكار المتلاحقة التي لو عملت في محيط الفقه الإسلامى لانتجت أحسن الآثار . عليه أن يكون لجنة من رجال المذاهب المختلفة المبرزين في فقههم ، ويضم إليهم عددا من علمية

رجال القانون المعروفين بالإيمان بالله والإخلاص لدين الله فيسكتبوا القسم المدني وقسم العقوبات والمرافعات على ضوء ما جرد من المشاكل ، ليحكموا فيها كلها بشريعة السماء . عليه أن ينشئ في كلية الشريعة كرسيًا لدراسة النظريات القانونية على ضوء الفقه والموازنة بين الشريعة والقانون كما درس الق.ما. الفلسفة اليونانية في ضوء عقائد الإسلام ورددوا الباطل منها .

بهذا نستطيع أن نستمد من الشريعة قانون البلاد ، وبهذا يمكن للفقهاء أن يعيش . أما إن تركت كتبه في رفوف المكاتب يأكلها السوس ، وذهب الناس في حياتهم الهائجة المأساة ييغرون حكم الجاهلية فالموت للفقهاء والفناء له والضلال للناس ؛ فافتحوا للفقهاء أبواب الحياة .

أحمد فهمي أبو سنة

مدرس بكلية الشريعة



مركز تحقيقات كميوتور علوم إسلامي

القليل المتواصل والكثير المنقطع

روى المرزباني في كتاب (الموشح) أن الأخطل أتى الغضبان بن القبيشي الشيباني في الكوفة وكان سيد بكر بن وائل ، فسأله في جملة . فقال له ابن القبيشي : إن شئت أعطيتك ألفين وإن شئت أعطيتك درهمين . قال الأخطل : ما بال ألفين وما بال درهمين ؟ قال : إن أعطيتك ألفين لم يعطكها غيري إلا قليل . وإن أعطيتك درهمين لم يبق بكرى بالكوفة إلا أعطاك درهمين ، وكتبنا لك إلى إخواننا من أهل البصرة فلم يبق بكرى إلا أعطاك درهمين تخفت عليك المؤونة وكثر لك النيل . قال الأخطل : فلهذا إذن . قال : نعمها لك إلى أن ترجع من البصرة ، وكتب له بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة .

الكتب الفلسفية

وما اعتراها من تحريف الوراقين

وسبل صلاحها

في مصر الآن نهضة لإحياء كتب الفلسفة والعلوم القديمة ، تقوم بذلك وزارة المعارف إذ قررت أن يطبع كتاب « الشفاء » لابن سينا ، وسائر كتبه المنطقية والرياضية والإلهية والأخلاقية احتفالاً بذكرى مرور ألف سنة على وفاته ، ويقوم بذلك بعض دور النشر وبعض الأفراد كالأستاذ عبد الرحمن بدوي إذ نشر من كتاب المنطق لأرسطو خمسة كتب : المقولات ، والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجدل . ويقوم به أيضاً في خارج مصر بعض المستشرقين كالأب بويج إذ نشر « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و « تهافت التهافت » لابن رشد ، و « تفسير ما بعد الطبيعة » لابن رشد أيضاً ، وبعض كتب أخرى . وهذه جهود تشكر لهم ، لأنهم يعانون الأمرين من هذه الكتب الخطية القديمة . لأنها رديئة الرسم أحياناً وغريبة الاصطلاح أحياناً وقد يكون عدا عليها الدهر فأكلتها الأرضة ، أو أصابها بلل فحما بعض سطورها ، وإن أحدهم ليبحث عن النسخ المتعددة من الكتاب الواحد في العالم فينسخها أو بصورها ، ويقابل بعضها ببعض ويبين مواضع الاختلاف في مطبوعه ، وهذا جهد ليس بالقليل فهو مضمّن وفوق الطاقاة ، يقر بذلك من كابد بعض الكتب الخطية القديمة .

ولنتي أذكر أنني علمت أن جامعة فؤاد الأول استحضرت مصورا من كتاب المنطق لأرسطو عن مخطوط بياريس ، فذهبت إلى كلية الآداب ، وحاولت أن أنتفع به فلم أفلح لرداء خطه وطمس سطوره . وقيل لي إن التصوير غير متقن ، فما هو إلا أن رأيت بعد ذلك بإخراج الأستاذ عبد الرحمن بدوي مطبوعاً طبعاً أنيقاً ، وعلى ورق مصقول فأخذت أقرأ لا تعينني القراءة ، فكلم من يد أسداها لمحبي العلم ، وكلم من يد يسديها الناشرون ، وكلم من يد تسديها

وزارة المعارف بتذليل الكتب العلمية القديمة ، وتيسيرها للقارئ والدارسين . لقد ذكرنا أنهم لم يألوا جهدا في تيسيرها للقارئ ، فهم يحرصون بأمانة على أن يجعلوا المطبوع صورة مطابقة للأصل من المخطوط ، وإن كانت هناك نسخ متعددة بينها اختلاف بينه ، ولكن هناك معضلة في هذا الإحياء كله ، ليست معضلة كتاب واحد وإنما هي معضلة الكتب جميعا ، ذلك أن هذه الفسخ الخطية قد اعترأها المسخ والنشويه والتبديل ، فالأولف أو المترجم يخرجها صحيحة مبرأة من العيب . ولكن الحاجة تقضى بأن تعم وتداول فينسخ منها ناسخ ، فيصحف كلها ويسقط كلها ويزيد كلها ، وتصبح نسخته هذه إماما فينسخ منها ناسخ فيعتبره ما يمتري الأول فيقع في خطئه ويزيد عليه مثل ، أو أكثر ، مما صنع الأول ، وهكذا تتعاوره السناخ ويتداوله الوراقون حتى يعود خطأ بختنا وباطلا صرفا .

فإذا حافظ الناشر على أوضاع هذه النسخة فهم يحافظون على الخطأ ، ويتحرون العاسد . وكثرة ما يطبع من هذا القبيل ، وإنه في الكتب الفلسفية العلمية أكثر ، وفي الكتب الدينية والأدبية أقل ، ذلك لأن هذه قد اتصل سندها وكثرت العناية بها فكانت تقابل وتدرس وتتحرى حتى جاءت أقل خطأ وتحريفا ، أما الفلسفة فقد انقطع سندها وقل المشتغلون بها وكان الناخون لكتبتها يجهلون ما فيها ، ومن هنا وقع النسخ والتغيير والتبديل والتحويل .

وإنى أريد أن أمثل لما قلته بكتاب المنطق لأرسطو ، انذى أخرجه الاستاذ بدوى . لقد ذكرت أنه قام بجهد عنيف مشكور حين أخرجه ، وحين أبرز هذه النسخة القديمة البالية ، في هذا الثوب القشيب .

لقد عكفت على قرأته فلم أفهم ، وعاودت القراءة فلم أفهم ، فأنكرت نفسى أولا ثم أنكرت النسخة ثانيا واتهمتها بالتحريف ، فقرأت على أن لا أتبع الالفاظ ولا أتقيد بالالكلمات ، وإنما أفهم من السطور ومن بين السطور ، وأستخلص المعنى من مجموع الكلام ، فإذا ما استوى لى ذلك ، بحثت عما كان يلزم من الالفاظ لتستوى العبارة ، فإذا التصحيف تارة ، وإذا الحذف تارة ، وإذا الزيادة تارة أخرى ، فإذا ما كمل ذلك في الباب أو الفصل سهل فهمه ، وعذب مورده ، لا إغلاق فيه ولا إلتغاز . وسأمثل :

ورد في نسخة المنطق المطبوعة ص ٣١٠ في أوائل كتاب البرهان ، وقد تجب ضرورة

ما يقدم فيعرف على جهتين ، فبعضها تحتاج من الضرورة إلى أن تقدم فتتصور أنها موجودة ، وبعضها الأولى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول ، وبعض الأشياء قد تدعو الضرورة إلى أن يتقدم فيعرف من أمرها كلا الصنفين . .

وهذه عبارة تجدها قلقة مضطربة لا تكاد تفهم فإذا علمت أنه يريد أن يقسم مبادئ البرهان التي يجب أن تعرف قبل البرهان إلى ثلاثة أقسام : الأول ما يجب التصديق بوجوده ، والثاني ما يجب تصور ما يدل عليه اللفظ ، والثالث ما يجب فيه الأمران جميعا ، علمت ما في العبارة من تصحيف وإن كان حقا : . وقد تجد ضرورة ما يقدم فيعرف على جهتين فبعضها يحتاج من الضرورة إلى أن يتقدم فيتصور أنها موجودة ، وبعضها إلى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول . .

فانظر كيف وقع التحريف فسد طريق الفهم فلما أصلح تيسر فهمه . وورد في ص ٣١٣ :
 ، وأما أن البرهان من أوائل غير مبرهنة فذلك أنه لم يكن يوجد السبيل إلى أن تعلم إذا لم يكن عليها برهان ، وذلك أن معنى أن تعلم الأشياء التي عليها برهان لا بطريق العراض إنما هو أن تقتنى البرهان عليها . .

فإذا علمت أنه يريد بهذا أن يبين أن البرهان لا بد أن ينتهي إلى أوائل ليس عليها برهان لأنه إذا كان عليها برهان لم يمكن أن تعلم إلا به فيقتلسل والنسلسل محال ، أدركت أن في العبارة تصحيفا وأنه يجب أن يقال بدل إذا لم يكن عليها برهان : إذا لم يقتن عليها برهان .

وقد تجد تصحيف الكلمات من فتح حرف فيها إلى كسره يجعل العبارة مغلفة لا تفهم ، فإذا فتح الحرف بعد كسره عرف ما يراد منها كما ورد في الصفحة نفسها . وأما أنها أقدم فإن كانت عللا ، بكسر همزة فإن — وإذا كانت عللا فإذا ؟ .

فإذا علمت أن أرسطو يشترط في مبادئ البرهان أن تكون أقدم من النتيجة ، واستدل على ذلك بأن المبادئ يجب أن تكون عللا لما قدمه ، فيلزم أن تكون أقدم ، لأن العلة أقدم من المعلول ، علمت أن حق العبارة ، وأما أنها أقدم وأن كانت عللا ، بفتح همزة فإن أي فلان كانت عللا .

ومثال التحريف بالنقص ما ورد في ص ٤٦٣ : « وأما أن العلم الذي بغير ذوات وسط أترى هو واحد بعينه أم ليس كذلك ، .

وفي العبارة نقص وحتمها ، وأما أن العلم الذي بغير ذوات وسط والعلم ، الذي بذوات وسط ، أتراهما واحداً بعينه ، .

أى العلم بالمبادئ التي بدون برهان ، والعلم بالاشياء التي هي ببرهان ، أهما علم واحد أم جنسان مختلفان ؟ .

ومثال التحريف بالزيادة ما ورد في ص ٤٦٤ : « ومن التجربة عندما يثبت ويستقر الكل في النفس ، .

وحتمها : ومن التجربة يثبت ويستقر الكل في النفس ، بحذف (عندما) ، وهذه بعض أمثلة وسبيلنا أن نمثل ولا نستقصي .

ولإذا وقع هذا التصحيف والتحريف في هذه النسخة المطبوعة ، وهي منقولة عن نسخة منقولة من نسخة الحسن بن سوار ، وقوبلت بنسخة كتبت من نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى فكان أيضاً موافقا — كما أثبت بآخر كتاب البرهان — ومعنى ذلك أن هذه النسخة أنجبها أصل فلسفي ، وهي نسخة الحسن بن سوار ، وزكاها عدل مقبول وهو نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى ، وهما اثنان من الفلاسفة ، ولهما مرتبة عليا فيها ، فما بالك بنسخة لم تظفر بمنزل هذا النسب العالي وبمثل هذه التركيبة .

أرايتم أنه لا يغنى التصحيح الاول عن التصحيح الثاني ، وأنه لا يمكن الفهم إلا بهذا التصحيح المعنوي .

أرايتم هذا الجهد المضمنى ، أرايتموه يقل تمباً وعسراً عن رفع الانتقال وقطع الأحجار ، بل ربما كان قاطع الأحجار أبل ربقاً وأسهل طريقاً ، وكان صاحب هذا الجهد محبوس الانفاس ، منقبض العضلات ، مرهف الحواس مخافة أن يند عنه ما يوشك أن يقع في شبابه .

أرايتم جهداً أيمن من هذا الجهد ، وتعباً أجدى من هذا التعب .

لأنه لا تقل جدواه عن جدوى المعلم الأول أرسطاطاليس الذي ألفه ، ولا جدوى أبي بشر متى بن يونس الذي ترجمه . فإذا كان الأول قد ألف ، والثاني قد ترجم وبذلك سهلاه ويسراه المتعلمين ، فإن الزمن قد جار عليه ، وغيره وبذله فلم يعد ينتفع به إلا بهذا الجهد الأخير الذي أزال النسخ والمسخ ، وعاد به كيوم ألفه المؤلف وترجمه المترجم .

إن التصحيح الأول عمل عضوي لا يحتاج إلا إلى عمل حاسة البصر . فالمصحح يقرأ النسخ المختلفة ويعرف مواضع الاختلاف وينبه عليها . أما التصحيح الثاني فهو عمل عقلي شاق عميق يقتضى أن يكون صاحبه عارفاً بالعالم الذي يصحح فيه ، وقل في زماننا من يعنى بهذه العلوم الفلسفية ، فقل من يعلم المنطق على طريقة أرسطو ، وقل من ينظر في علم الطبيعة على طريقة الفلاسفة المتقدمين ، وقل من يعرف علوم ما بعد الطبيعة على وعورتها ، وقل من يصبر على هذه العلوم مع انصراف الناس عنها . وانقطاع السند فيها وعدم الجزاء المادى عليها ، وإنه لا يتوفر على دراستها إلا من أوتي حظاً من حب الحكمة ملك عليه أمره ، فهو يصرفه في بدهاء الفكر وشعاب العلم ، يقضى فيها نهاره وإيله يسعد بما فيها ، وإنه ليكتفى بذلك ويزهد فيما في أيدي الناس من مناع وزخرف .

لا بد إذا من العالم بهذه العلوم الفلسفية ليصحح هذا التصحيح المعنوي ، ولكن لا بد من أن يحافظ على الأصل فيكتبه وينبه على أن المعنى يقتضى كذا ويثبت ما يقتضيه في أسفل الصفحة .

ولنما أوجبنا ذلك لأن المرء موكل به اللسيان والفاظ . فربما زيف فهما صحيحاً ، وربما أصلح فأفسد ، وأزال التحريف فأوقع في التحريف . ولعلة أخرى وهي عدم التحكم في القارىء فهو بذلك يقول لمن ينظر في هذا الكتاب : هذا هو الأصل وما يقتضيه على هو كذا ولك الخيار فيما تأخذ وما تدع . وحبذا لو كتب خلاصة لكل باب يترجمه إلى لغة العصر لتكون أعون على فهمه .

هذا ما نراه في إخراج الكتب الفلسفية ولعل وزارة المعارف تقنن به وتراهيه لأنها إذا أخرجت الكتب الفلسفية بدونها ، تكون قد أحييت ولم تحيي ويسرت ولم تيسر وأخرجت للناس كتباً شبيهة بأقوال المجانين لا نظام يجمعها ولا معنى يفهم منها كما قال أبو تمام :

عدلا شيها بالجنون كأنما قرأت به الوراه شطر كتاب

وأحب أن أنبه إلى أنه يجب إذا ظفرت وزارة المعارف بمن يصحون منها هذا التصحيح ألا تطلب منهم الكثير فإنهم لا يعنون بالكثرة، وإنما يعنون بالجودة، وكل قليل من الجيد فهو كثير لو لم يكن إلا أن يخرج أحدهم كتاب الشعر أو الخطابة أو البرهان لأرسطو لكفاه ذلك، فبحسبه أن أخرج كتاب البرهان أو الشعر أو الخطابة مقروما مفهوما وبحسب الأمة أن تظفر بذلك.

وأحب أيضاً ألا تضن عليهم فتحاسبهم بالورقة أو بالملزمة بل تكافئهم مكافأة من يعلم قيمة علمهم وجدواه، وما فيه من صعوبة، فهو خلاصة تعب العمر، وجهد الحياة.

ليس بكثير على رجل أنفق عمره في خدمة العلم والاشتغال بعلوم الأوائل حتى استوى له أن يصحح كتاباً من كتب المعلم الأول، أو كتب ابن سينا أو ابن رشد، تصحيحاً يزيل غلط الدهور وخطأ الاحقاد، أن يأخذ من أسوال الدولة ما يوازي تعب عقله ونصب فكره. وما يغيب أن تعطى الدولة من يشترها كتاباً عما تود نشره من كتب العلم ما يكافئ عمله فهي ليست تنشده وتبذل الجهد والمال في إخراجها للناس إلا للارتفاع به، ولا ينفع به ويتيسر فهمه إلا بهذا التصحيح المعنوي الذي قلناه.

إنه يجب أن تتغير نظرنا إلى العلم والعلماء فلا نستكثر على العلماء ما لا نستكثره على من لا يعنون غناهم ويتفعمون نفهم.

إذا أراد المرء أن يعرف مقدار تقدم أمة في الحضارة نظر إلى ما ينفق فيها ويروج فإن كان الذي ينفق فيها المضحكات والمسائيات، فهي ذات نصيب قليل من التقدم والرقى، وإن كان الذي ينفق فيها الجد والعلم عرف أنها تعرف للعلم خطره، وللجد أثره، وخير للأمة المصرية أن تتجاوز الطور الأول إلى هذا الطور الأخير.

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

الحديث النبوي

مقاصد ، الفاظه ، معانيه

تناولت في حديث سابق كلام النبوة من ناحية أغراضه ومراميه ، واليوم أعرض له من جهة بلاغته .

وامر الحق ان يصفه واصف بأبغ ولا أوجز ولا أدل من قوله ، أما أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ، واسترضعت في بنى بكر بن سعد ، .

وقال له أبو بكر ذات يوم : لقد طفت للعرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أدبى ربي فأحسن تأديبي ، .

وذكر أبو علي البغدادي في أماليه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا بين أصحابه فذشأت سخابة فقالوا : يا رسول الله هذه سخابة فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكئها . قال : وكيف ترون رحاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها . قال : وكيف ترون برقعها أو وميضاً أم خفياً أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقاً . فقال : فكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم : الحيا . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذى هو أفصح منك . قال : وما يمنى ؟ فأنما أنزل القرآن بلسان عربى مبین (١) .

والقارىء الكريم يستطيع ان يفهم من هذه الاحاديث كيف امتاز النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الفصاحة التي كانت موضع إعجاب أصحابه ودهشتهم ، وفيهم أبو بكر نسابه العرب وراويها أخبارها وطوائفها بالآفاق .

فهو صلى الله عليه وسلم كما يقول في الحديث الأول : من قريش وهي أفصح العرب لغة وأقومها منطقاً لأنها كانت تتخير من لغات الوافدين إليها في المواسم ما خف على اللسان وحسن في الآذان فلطفت لهجتها وجاد أسلوبها وزادت ثروتها . وكرمها اقرآن فنزل بلغتها .

(١) الوميض : اللمع الخفى . والخفى بالتخفيف : البرق الضعيف .

وهو صلى الله عليه وسلم قد استرضع في بني سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربين حول مكة يقبدي فيهم أطفال قريش يطلبون نشأة الفصاحة ، وقد أجمع الرواة على أن لهم اختصاصا وامتيازاً من بين العرب في الفصاحة وحسن البيان ومحمد صاحب الاستعداد الحصيب والفطرة العالية فكيف يبلغ من أدبهم .

وهو صلى الله عليه وسلم كما وصف نفسه في الحديث الثاني فقد أدبه ربه وصنعه على كرائم ما يؤتى الناس من مبان ومعان جل مواهبها ، وذلك الركن الركين والسر السكين والغاية التي لا تدرك .

ثم هو تليذ القرآن وخصيصه وصفيه ونجيه كما يقول وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلسان عربي . وهذا الكتاب نعم المؤدب والمهذب ، وللقارى فيه من العلم والأدب والبيان واللسان بمقدار ما له في القارى من تفرغ . وأنجم وهل كان إلا للقرآن يتعمده ويهذب ويعلمه البيان .

وفي هاتين الناحيتين (.مدارسة القرآن وتأديب الرحمن) موضع التفرد في رسول الله ﷺ فقد اصطنق له ما شاء من صور البيان كما اصطفاه على جميع الأنام وكانت له بلاغة : وسجدت الأفكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، ألفاظ بعمرها قلب متصل بجلال خالقه وبصفتها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها حادث من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله (١) .

ولا تتوهم أن بلاغة النبوة كانت من نوع ما قد يتوهم القارى في بعض الحديث الأخير من غرابة وأن ذلك كان مصدر إعجاب الصحابة ، كلا فقد كان ﷺ أبعد الناس من الغريب والحوشى كما ترى فيما بعد ، وإنما هي مجازات في القواعد (الأسافل) وفي الرحي (الوسط) وفي البواسق (الأعلى) . والغرابة بالمجاز محمودة إذا كانت في صخرها وحافها . وقد جعل الله غرابة كلام النبوة أحيانا في دقة معانيه ولطف استعاراته وتماسك لبنانه وتجامع كلماته ودقة تشبيهاته وإحكام تطابقها .

وربما أغرب حين يخاطب من ليس من قريش فيكون ما يتكلم به أو ما يكتبه غير مألوف لقومه ، ولكنه لغة المخاطبين وبغيره لا يفهمون فهو يحدثهم بما يفهمون . ولذلك وصف النبي ﷺ بأنه واضح في اللغة ومشقق فيها ، وروى المبرد في الكامل أنه ﷺ قال لأبي تميمه الهجيمي «إياك والخيلة ، فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما الخيلة ؟ قال : سبل الإزار .

وإذا ، فقد صورت للقارئ بعض عوامل بلاغته ﷺ بمقدار ما أوردت الأحاديث الكريمة السالفة الذكر . ولا ريب أن عوامل بلاغته أكثر من ذلك ، ولكنه لست في هذا السبيل فإن السفر طويل وليس المجال يستدع ذلك ، فتاريخ النبي وما يحف به من الأمور الجليلة ، بل إن شاء قائل أن يقول إن النبي ﷺ في غنى عن الإشارة ببلاغته وبيانه ، وإن من الفضول إرجاء الوقت في تصوير ذلك كان له ذلك . ولكنه لست أردت أن أوجه القارئ صوبها وأذكره بالواجب نحوها ، وأجدد في نفسه معاني تقديرها حتى لا يتخذ هذا الكلام السامى مهجوراً ، وحتى يتشمس أقرب الطرق إلى البلاغة في تفقه ذلك البيان العظيم من ذلك النبي الكريم ، وأعود إذا بالقارئ إلى وصف كلامه صلى الله عليه وسلم وأجعل الممددة في ذلك ما يتناقله الأدباء من وصف الجاحظ له وهو الناقد البصير والواصف الخبير قال الجاحظ في البيان والتبيين (١) :

هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه . وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف . قال الله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد جانب أصحاب التعمير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع القصر . وهجر الغريب والوحشى ، ورغب عن الهجين والسوق ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالوصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة . ولا زلت به قدم . ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ،

ولا أحمه خطيب ، بل يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتزم إسكات الخصم إلا بما يعله الخصم ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ولا أبين في خضواه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا وصف الجاحظ لكلام السيد الرسول ، وهي أوصاف عظيمة وإن كان في تصويرها شيء من الترهل في العبارة والتكرار ، وهي تلخص فيما يأتي مع شيء من التأييد .

(١) كان صلى الله عليه وسلم موجز اللفظ يقصد إلى الهدف ويهدي إلى الجادة في القول كما هدى إليها في الفعل ، وهي من خصائص النبوة وآيات العبقرية . ولهذا وصفت البلاغة بين الأدباء بأنها الإيجاز ، لأن كل متكلم يستعين على الإفهام ويردد في سياق الكلام لنقص عليه بحاجة السامع ، وعدم اطمئنانه إلى أنه وفي . ولهذا تنكسر الإطالة في كلام الأعاجم ومن على شاكلتهم فأما العرب الخالص فيتنافسون في تلحيز كلمة وكلمة جامعة .

ومن قرأ لهذا الجاحظ الذي يضرب به المثل في البيان ، أو لأمثاله من فرسان هذا الميدان كابن المقفع ، وأحمد بن يوسف ، وعبد الحميد من قبلهما ، أدرك فرق ما بينهم وبين التابعين في البلاغة وعلى رأسهم محمد بن عبد الله .

وهذا ما جعل السيد الرسول يتحدث بنعمة الله عليه فيقول ، أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصاراً . . . وجوامع الكلم غير الاختصار كما قد يتوهم . وكان صلى الله عليه وسلم يقول ، نحن معاشر الأنبياء بكاء ، لأنهم يكرهون الفضول ، ويقصدون إلى الأهداف ، ويعمدون إلى الصراحة . ولما نصح جرير بن عبد الله قال له ، إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف . . . ولهذا قال ، أبغضكم إلى الثرثارون المتفهمون . . . وقد أحصى العلماء كثيراً من الكلام المفيد السامع الذي يشتمل على كلمتين من كلامه كقوله ، الإيمان يمان ، والدين النصيحة . . . الدين الماملة ، ، العدة دين ، ، السماح رباح ، وما إلى ذلك من الكلام العذب المغدق الخصب المتعلل بمحاسن البديع الطبيعي .

ولعلك ترى في هذه المحاولة أن ذلك كان توفيقاً لا إقلاقاً ، وإصابة لا عجزاً ، وهو من الحكمة التي وصف بها الجاحظ هذا الكلام فقال : إنه لم ينطق إلا عن ميراث حكمة . على أنه كان يطيل في الحين وبعد الحين كما قال الجاحظ أيضاً أنه يبسط في موضع البسط ويقتصر في موضع القصر . وروى عن أبي سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا حلوة خضرة ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون . فانظروا الدنيا ، وانظروا النساء . ألا لا يتمن رجلان مخافة الله أن يقول الحق إذا علمه . قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف .

وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم نوع من الأطناب يسمى « التوشيح » وقد تردد كثيراً فيها بجمال فائق وإحسان عظيم ، لأنه يتفق مع الإجمال ثم التفصيل ، لزيادة تقرير المعنى وإيصاله إلى السامع . وهو لإحكام لصناعة البلاغة ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول الكلمة ثلاثاً لفهمه ، ولم يكن يسرد كسردياً .

وفي هذه المناسبة أقول : إن الجاحظ قد تورط فيما اعتقد فذكر أنه كان يستغنى عن إعادة الكلام ، وكان السامع في غير حاجة إلى المعاودة إلا أن يتكف لتصحيحه ببعض التأويل . وهذا التوشيح يجده الفارسي الكريم في مثل قوله « عشر خصال من الفطرة الخ » وقوله « أوصاني ربي بتسع الخ » وقوله « سبعة يظلهم الله الخ » وقوله « أربع من كن فيه الخ » وقوله « آية المنافق ثلاث الخ » وهو مما يجعل السبك رصينا والأسلوب متماكاً .

هذا ولغاية الإيجاز على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في غير تكلف ولا عناء مع بلوغ الغاية كان إعجاب الأصحاب به وتعجبهم من مسامحة ، وفي الحق إن ذلك ناحية الامتياز الكبرى في بيانه صلى الله عليه وسلم فإن اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ، واطراد ذلك في كل معنى وفي كل باب شيء لم يعرف لأحد قبله . فأما غيره فإنه يستهلك بالاختصار معنى الكلام ويستولى عليه بالتكلف . ومن شاء فليتنظر في المختصرات ومختصرات المختصرات فيما بين أيدينا من الكتب ليرى كيف يصنع الاختصار من تشويه الحقائق وتكلف ما يحول دون الفهم . « يتبع »

محمد النواوي

المفتش بالأزهر

الحكم الكليفي والروعي

- ١ -

من المعلوم أن الاصطلاحات العرفية والشرعية ترجع في أصلها إلى الأوضاع اللغوية . ولهذا يلزمنا أن نعرف الحكم في الوضع اللغوي ، ثم ننتقل منه إلى الحكم الشرعي . فالحكم في اللغة : الصرف والمنع الإصلاح . وجاء منه ، حكمة الفرس ، وهي الحديدية التي تمنعه عن الجروح . وجاء منه ، الحكيم ، لأنه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها . ومنه ، الأحكام ، أي الإتيان . وقد جاء في القرآن الكريم ، كتاب أحكمت آياته ، أي منعت وحفظت عن الخلل والكذب والباطل والخطأ والتناقض . وه الحكم ، بمعنى الفصل والبت والقطع . وفي اصطلاح المناطقة إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً ، وإدراك وقوع النسبة أو لا وقوعها . وإذا كان الحكم هو الثمرة المطلوبة من منابع التشريع الإسلامي وأدله ، فإن أنظار الأصوليين المستبطين للأحكام الشرعية محصورة في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية . ولاجل ذلك جرت عادة الأصوليين أن يعرفوا الحكم الشرعي ويقسموه ثم يبينوا الحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه .

وقبل أن نبدأ السير في بيان هذه الحقائق المنقسم إليها الحكم الشرعي . ننبه إلى أن الأصوليين جرت عادتهم بذكر تعريفات متعددة لكل نوع من أنواع الحكم بل قد اختلفوا في تعريف الحكم نفسه . وإنا لناخذ أنفسنا في هذا البحث بذكر ما رجحه جمهرة العلماء أو واحد مهم ، ونعرض عن غير الراجح من التعاريف . وقد عرف الآمدي الحكم الشرعي بأنه ، خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية ، وهذا الخطاب إما أن يكون متعلقاً بطلب أو لا يكون متعلقاً بطلب . فإن كان الأول فهو طلب الفعل أو الترك . وكل واحد منهما إما جازم أو غير جازم . فما تعلق بالطلب الجازم للفعل فهو الوجوب . وما تعلق بالطلب غير الجازم فهو التسبب . وما تعلق بالطلب الجازم للترك فهو الحرمة . وما تعلق بالطلب غير الجازم للترك فهو الكراهة ، وإن لم يكن متعلقاً بطلب ، فيما أن يكون متعلقاً بخطاب التخيير

أو غيره . فإن كان الأول فهو الإباحة . وإن كان الثاني فهو الحكم الوضعي كالأصحة والبطلان ونصب الشيء سبياً أو مانعاً أو شرطاً ، وكون الفعل عبادة وقضاء وأداء وعزيمة ورخصة . وهذا التعريف يقرب من قول بعضهم : الحكم عند الأصوليين خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تحظيراً أو وضعاً .

وعبارة الشاطبي واضحة في تقسيم الأحكام الشرعية ، إذ يقول الأحكام الشرعية قسمان : أحدهما يرجع إلى خطاب التكليف والآخر يرجع إلى خطاب الوضع . فالأول ينحصر في خمسة أنواع : الإباحة والندب والكرهة والإيجاب والتحريم . والثاني ينحصر في الأسباب والشروط والموانع والصحة والبطلان والذرائع والرخص . ومن هذا يعلم أن الأصوليين عرفوا الحكم بالخطاب الذي يطلب به الشارع من المكلف فملاً أو تحظيراً بين أن يفعل وأن لا يفعل ، أو يجعل بخطابه شيئاً من الأحكام سبياً أو شرطاً أو مانعاً . فنحو قوله تعالى « أقيموا الصلاة » ، « إذا نداء بتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، « ولا تقربوا الزنا » ، « وذروا البيع » ، « فإذا حللتم فاصطادوا » ، « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ، كل هذه أحكام شرعية في نظر الأصوليين .

وللفقهاء معنى آخر للحكم ، فهو عندهم الصفة التي هي أثر ذلك الخطاب . فالحكم الشرعي عندهم هو الوجوب للصلاة . والإرشاد لكتابة الدين . والحرم للزنا . والكرهة للبيع وقت النداء . والإباحة للاصطياد بعد الإحلال . وسببية الوجوب لدلوك الشمس . وليست هناك ثمرة لهذا الخلاف ، ولا أثر على في إثبات الأحكام .

والفرق بين الأحكام التكوينية والوضعية ، أن التكوينية ينظر فيها إلى ترتب الثواب على الفعل والعقاب على الترك ، وأما الوضعية فإنه ينظر فيها إلى اعتبار الفعل صحيحاً في نظر الشارع ومعتداً به أو ليس صحيحاً ولا معتبراً .

وقد أجمع أهل السنة على نفي الأحكام عند عدم الخطاب من الشارع ، ذهبوا منهم إلى عدم اعتبار حكم العقل في إثبات الأحكام . فالعقل لا يحسن ولا يقبح فلا يثبت به حكم . والعقل لا يوجب شكر المنعم .

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة . فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرقى والملكى وشكر المنعم . ومعرفة حسن الصدق وقبح الكذب

ولإيلاف البريء . ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذي يترتب عليه ضرر ، وقبح الكذب الذي يترتب عليه نفع . ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة والحج وسائر العبادات . ولا ترى من الخوض في هذا الجدال عظيم فائدة تستحق منا مزيد المعاناة ، ولعل ذلك هو الذي حدا بمنقضى الأصوات إلى الإعراض عن الخوض في هذا اللجاج الذي يكون ذكره في مسائل علم الكلام أولى وارتباطه به أقوى .

ومقصد الشارع من تشريع هذه الأحكام وإلزام البشر بها إنما هو تحقيق معادتهم في العاجل والآجل . وقد وقع الخلاف في علم الكلام بين طائفتين تزعم الرازي إحدى تلك الطائفتين مدعياً أن أحكام الله ليست معللة بعلة ألبتة ، كما أن أفعاله لا تعمل ولم يستطع هذا الرأي أن يثبت أمام التطبيق العملي والنظري في الأحكام المعللة في الكتاب والسنة . فالقرآن الكريم مليء بالأفعال والأحكام المعللة . فإن الله تعالى يقول في حكمة بعثة الرسل ، رسلاً مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، . ويقول في وصف خاتم المرسلين بأنه رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، . وفوق هذا فإن آيات القرآن التي تعرضت لمبدأ الخلق وحكمته ظهر فيها التعليل بوضوح وجلالة إذ يقول عز من قائل . وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، . ويقول . وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ويقول . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، .

وفي تعليل جزئيات الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة فيض عظيم ، لا يستطيع معارض أن يحجز نوره أو يحبس ضوءه أو يصد شمس . ففي آية الوضوء يظهر التعليل واضحاً في قوله تعالى . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ، ويقول في الصوم . كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، وفي الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفي القبلة . فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ، وفي الجماد . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وفي القصص . وإلهم في الفصاح حياة يا أولى الألباب ، وفي الحمل على التقرير بوحدانية الله سبحانه وتعالى بأبلغ وجه وأفصح عبارة وأشرف ديباجة ، إذ يقول جل وعلا في صدد ذلك . ألسنت بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ولو أطلقنا العنان لفتوى

أحكام الكتاب والسنة وتعاليلها لكننا ملزمين بأن نضع مؤلفاً بدلاً من ندبج مقالة لمجلة الأزهر. وعلی أوفق فی مستقبل الأيام إلى كشف اللثام عن أسرار هذه التعليقات .

وجملة ما يمكن أن يقال فيها إنما حكم وأسرار ليست بباطنة للشارع ولا ملزمة له ، بل هي راجعة في الحقيقة إلى مصلحة العباد ، وتحقيق الخير لهم والله غني عن العالمين .

ونعود إلى الرأي الثاني الذي تزعمته المعتزلة وهو أن أحكام الله وأفعاله معللة برعاية مصالح العباد ومعهم أكثر الفقهاء . وإذا حللت رأي الرازي وخرجته على الوجه الذي بسطته فقد أصبح موافقاً لرأي المعتزلة ، وبذلك حقق علماء الأصول التوفيق بين رأي المعتزلة ورأي الرازي ، إذ أن ما قاله المعتزلة في تعليل الأحكام والأفعال راجع في الحقيقة إلى مصالح العباد ومنفعتهم لا إلى منفعة الله سبحانه وتعالى . لأنه غير محتاج إلى الأفعال ليتكامل بها ولا يستطيع الرازي أن ينكر أن العباد ينتفون بهذه الأحكام ، وأن عملها تعود بالخير والنعيم لهم ، وتمكنهم من الخلافة المصلحة في الأرض التي يباهي الله بها ملائكته ، والتي أشار إليها سبحانه بقوله « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

وفتنا الله إلى إدراك أسرار تشريعه وحكمه إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله المراغى

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

يُصلح في إسلامه ما أفسده في كفره

كان عبد الله بن الزبيرى السهمى شاعراً من شعراء قريش ومن أشدهم عداوة للإسلام . ثم أـلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فأحسن فقال :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بُورُ
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مشبور
آمن اللحم والعظام بما قاتت ففسى الفدى وأنت النذير

أزمة الأدب وحرية التعبير

يجتاز العالم في هذه الفترة الأخيرة من حياته مراحل خطيرة من التطور والانتقال ،
تنتج عنها انزياح في بعض القيم الخلفية والاجتماعية والسياسية ، وظهور قيم أخرى جديدة
مؤسمة على الفهم الجديد الذي أحدثه التطور في شتى نواحي الحياة الإنسانية .

والادب كظاهرة أساسية من الظواهر البشرية كان في المقدمة : بل كان الجهاز
الحساس الذي يسجل كل هذه التغيرات . وقد اعتبر كثير من المؤرخين أن الادب مصدر
أساسي من مصادر التاريخ الاجتماعي والسياسي لدولة من الدول ، ثم ابتداء هذا التقويم
لوظيفة الادب يتسع حتى أصبح من المقرر أنه ليس تعبيراً ذاتياً يقوم به أفراد معينون
يعبرون عن ذواتهم ، بل اتجه إلى معنى أوسع وأعمق ، إلى أنه تعبير اجتماعي ضخم لمرحلة
تاريخية في حياة الإنسان .

ومن هنا أقيمت على عاتق الأدب مهمة اجتماعية ثقيلة ، وضعت في عنقه أمانة التعبير
عن الجيل الذي يعيش فيه ، وأرغمت على أن تكون صلته بهذا المجتمع أكثر ارتباطاً ، وأشد
حساسية .. واعتبر الكاتب غير محقق لرسالته كأديب ما لم يكن سراً صادقة لعصره !

وليس هناك شك في أن الأدب ليس هو التاريخ ، ولا المذكرات أو اليوميات المسجلة
للأحداث التي تجري في حقبة بعينها ؛ لأن هذا مجردة من دوره الاصيل ، وهو التعبير عن
موقف الإنسان تجاه مشكلة من المشا كل والاسلوب الذي يتخذه في مجابته ، كاشفاً عن
الإمكانات التي تنطوي عليها الطبيعة الإنسانية ، ويتحول الفن أو الادب هنا إلى دراسة
أوسع وأعمق يستفيد منها علم النفس الحديث وفروعه .

ومن زاوية أخرى يقوم الادب بتقرير وجهة نظر معينة تعبر عن اتجاه خاص للكاتب
أو الجماعة يشترك معها الكاتب في الرأي والعقيدة ، وهكذا يساهم الادب ليس — فقط —
في بناء التاريخ ، ولا في الدراسة المتعددة الجوانب للإنسان ، بل في الاتجاه الفكري أو المذهبي
لطائفة من الناس ، وكلما كان الكاتب واعياً بمجتمعه أميناً على الحقيقة كان الرأي الذي يعبر
عنه في صالح الجوع الإنسانية التي تشاركه حياته ، وأصبح بعيد الأثر في كل ما يحدث في
التاريخ البشري من تقدم وارتقاء .

ولا يمكن للأدب أن يؤدي وظائفه هذه ما لم يكن صادقا ، بصيراً بالأمور لا تختفي عن واعيته حقائق الحياة التي تكون عادة مخبأة تحت كتل مكدسة من التضليل والتعقيد . ونحن هنا نتكلم عن هذا اللون المخلص من الأدب ، فكلما كان الأدب مخلصا ازدادت خطورته . وعلى هذا لم تكن مهمة هذا الأديب سهلة ميسورة في كل العصور والعهود . فلقد أدرك أصحاب السطوة ما للأدب من أثر ووقفوا على دوره المتعدد الجوانب . وابتدأوا يحاربونه إما بتحويله عن اتجاهه الطبيعي ، وإما باستغلاله لتحقيق أغراضهم ، وإما بقطع الصلة بينه وبين جمهور الشعب - الذي يمثل الجانب الآخر من التفاعل - بمصادرته وإقامة السدود في سبيله ، إما بالتشريعات القانونية وإما بالسيطرة المباشرة .

وبهذا أضافوا وظيفة أساسية من وظائف الفن المخلص ، هي الدفاع عن الحرية ، لأنه بغير الحرية لا يمكن لهذا الأدب أن يصبح له وجود .

والأدب الحر لا يخشى على حريته من حرية الآداب الرخيصة ، فعلى الرغم من أنه معلوم لأصحاب الاقتصاد ، أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، إلا أن هذا لا ينطبق على الأدب ، وربما لا ينطبق على شيء من حياة الإنسان ، لأن هذا الأدب يؤمن بالجوانب الخيرة ، ويعتقد أنها أساسية في الإنسان . وتاريخ الأدب نفسه يمنح هذه الثقة ، فكل الآثار الأدبية الرفيعة التي بقيت واكتسبت صفة الاستمرار ، استمدت قدراتها هذه من توفر تلك الصفات فيها .

وفي هذه الفترة من حياتنا ننظر إلى آدابنا فنجد أنها تعاني أزمة شديدة ، ربما لم تعانيها فترة أخرى قبلها . . . ولقد أحس الكتاب أنفسهم هذه الأزمة ، بل ابتدأوا يعانونها . . . وسواء كانوا مخلصين ، أو غير مخلصين فقد عقدوا المؤتمرات لدراستها ومحاولة القضاء عليها . . . وليس الأمر بالسهولة التي تنصورها للوهلة الأولى ، فالاختلاف في الآراء يأتي تبعاً للاختلاف في الإخلاص لرسالة الأديب التي شرعناها ، وليس هذا الإخلاص شيئاً مسلماً به بين الكتاب جميعاً . . .

فنحن نعيش في أزهي العصور الإنسانية ، وأكثرها تقدماً . ففي عصرنا وقفنا على حقائق علمية كانت تبدو لاسلافنا ضرباً من الخرافة . وابتدأنا نحدد موقفنا من عالمنا تحديداً ربما يكون أقرب إلى الصواب من الذين قبلنا . وقد أعطينا للتراث الفكري القديم قيمة كبرى ، وأصبح على الأديب بل للثقافة أن يلم بهذا التراث قبل أن يخط سطرأ . . . وأصبح

عليه أيضاً أن يلم بكل حقائق هذا العصر، وثقافة هذا العصر.. ومع أننا نقف على أكتاف هؤلاء الذين سبقونا، فما زال بين كتابنا المعاصرين كثير من الأقرام...

على أنه يجدر بنا أن نذكر أن العراقيين التي تقف في سبيل الكاتب في عصرنا - افتثانا هلى الحق الدستورى فى حرية التعبير - أكثر تعقداً من أية عراقيل أقيمت فى سبيل كاتب من قبل. فكلما تقدمت البشرية فى الثقافة وأوغلت فى استغلال فهمها للقوانين الطبيعية، ازداد تقدم الاستبداد فى ابتكار الوسائل المختلفة لحماية استبداده.. وكرد فعل طبيعى تنشط الجماهير لرد هذا العدوان وهى أكثر ثقافة وأكثر وعياً من قبل.. وباختصار أصبح الاستبداد من التنبه بحيث صار وجود أدب حر مخلص شيئاً أشبه بالمستحيل!

ولكننا مهما غلونا فى تقدير هذه العقبات، فإننا لا نستطيع أن ننسى أبداً، أنه فى ماضى الزمن، قبل أن يسمع امرؤ عن حقوق الإنسان، كان الكاتب والمفكر يشنق أو يقتل لانفخ الامور. ومع هذا فقد حملت إلينا كل الآراء الطيبة التى تشترك بصخورها الصلبة المتينة فى بنائنا الفكرى حتى الآن.. ومعنى هذا أن هناك صراعاً دائماً بين المفكر الحر والاستبداد - على اختلاف أساليب أصحاب السطوة فى الصراع خشونة ونعومة - وإن على الكاتب أن يفترض بدهاء أن الاستبداد سيقف فى سبيله، وأن يهوى نفسه لاستقبال كل طعنة وأن يعلم نفسه كيف يستطيع أن يكسب المعركة على الرغم من كل شيء..

ومن غير هذا الصراع - بل هذه الخاصية التى يتمتع بها الأدب - يصبح الأدب شيئاً للهو والزينة، ويصبح أنفه من أن يلتفت إليه إنسان لا فى هذا العصر ولا فى أى عصر آخر من العصور القادمة...

وأزمة الأدب المعاصر تعود - بالدرجة الأولى - إلى الكاتب نفسه.. فهما تكن السلطات قد درعت نفسها ضد الكتابة الحرة، فإن الأدب بإمكاناته الفريدة من حيث قدرته على الإيحاء والتوجيه تليحاً وتضميناً ورمزاً فى أضيق الحلقات، يستطيع أن يحطم هذه الحصون مهما تكن قوتها.. وهذا ما لم يفعله أحد من الذين يندبون أزمة الأدب المعاصر.. ولقد كان لويس السادس عشر ومن قبله أبوه وجده، مثلاً سيئاً للاستبداد، ومع ذلك فقد استطاع فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو وغيرهم أن يكتبوا، وأن يبلغوا الناس عن طريق الأدب والفلسفة والعلم!

وفي أقصى مراحل الاستبداد القيصري في روسيا وقف ديتويفسكي الكاتب الروسي ينتظر دوره لتتزع المشقة حياته .. ومع هذا فقد قرأنا لدستويفسكي وتولستوي وتورجنيف وتشيكوف .. واعتبرناهم عمالقة ، وكان عصرهم أزهى العصور الأدبية .
 بقي شيء واحد يجب تقريره ؛ إن كتابنا - وقد يشمل هذا كتاب الغرب أيضا الذين يعانون الأزمة - غير مخلصين لقضية الإنسانية ، من حيث هي تقدم وارتقاء في جميع أركان الحياة . وقد يكون بعضهم مخلصاً لقضية أخرى غير هذه القضية ، ولكن طبيعة قضيته الخاسرة تجره إلى الخلف وتجعله من كتاب الأزمة ، لأنه بقدر ما يكون الكاتب صاعداً مع الصاعدين ، يكتسب الاستمرار والخلود ..

والواقع أن كتابنا المعاصرين يعتبرون من المتخلفين عن قضايا جيلهم ، وعن فهمها . وقد اتخذت أكثرهم الجانب المنحل من المجتمع لتقف إلى جواره ، وتدافع عن أهدافه ومطامعه ، قانعة بالراحة والرؤية وشيء من الجاه الحقير .. وها هي ذى الأوضاع قد زلزلت في مصر ، وهي تزلزل في جميع أنحاء العالم مؤذنة بالتغيير الضخم الذي يحدث لمصلحة المجموع . ويكتشف كتاب الأزمة - بعد فوات الفرصة - أنهم كانوا في الجانب الخاسر ، على أنه كيف يتأني للإنسان أن يصطنع الإخلاص وهو لا يكون فيه إلا طبعاً أصيلاً ١١ إن الأزمة التي يعانيها الأدب العربي الآن ، أزمة في الضمير الأدبي والثقافي عند الكتاب العرب قبل أن تكون أزمة الافتئات على حرية التعبير .. ولن نستطيع أبداً أن نتوجه بهذه الكلمة إلى أحد غير الكتاب لأننا - مهما نكث من البلاهة والغفلة - ما كنا لنطلب إلى الاستبداد الراحل أن يفتح بالسلح الذي في يده .

أحمد عباس صالح

في مسير الرسول من حنين إلى الطائف

قال الشاعر الأنصاري كعب بن مالك :

قضيئا من تهامة كل وتر	وخبير ، ثم أحجمنا السيوف
نخيرها ، ولو نطقتم لقاتل	قواطم من دوساً أو تقيفا
فلمست لحاصن ^(١) إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوفاً
فتتزع العروش بيطن وج	ونترك داركم منا خلوفاً
وزدى اللات والعزى ووداً	ونصلها القلائد والشنوفاً

(١) الحاصن : المرأة العفيفة الكريمة .

الدعوة إلى اليقظة

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرسل ولاته إلى الأقطار الإسلامية ليكونوا (معلمين) قبل أن يكونوا (حاكمين) . ومن بواعث السعادة لمصر أن ربان سفينتها اليوم — وهو الرئيس القائد محمد نجيب — يرهن في كل موقف من مواقفه على أنه المعلم الحكيم الذي يلاحظ مواطن الضعف في الكيان المعمرى ، فيرشد أمته إلى أقرب الطرق لمعالجة ضعفها بما يخرجها منه إلى موطن السلامة .

ولما وقف يخطب في حفلة إرساء حجر الأساس لمبنى الإذاعة اللاسلكية دعا جميع مواطنيه إلى اتباع سياسة التقشف وقال :

« إن التركة مثقلة ، ونحن نعيش تحت بناء منهار نريد أن نرفع أنقاضه ، ولم نرفع منه حتى الآن إلا التراب . وهذه الحالة ليس المسئول عن تحقيقها محمد نجيب وحده ، بل كل رجل في البلد يجب أن يتعاون ويتضامر ويعمل معنا لإقامة البناء سليماً متيناً .
إذن فنحن نعيش تحت بناء منهار ، والذي يقول هذه الكلمة هو الرجل الواقف على دخائل البناء الذي نعيش تحته ، فصاح بنا يدعونا إلى النجاة .

إنه يعرف ما لا يعرفه أكثرنا ، أو على الأقل يعرف ما لا أعرفه أنا ، وبما أعرفه أنا عن بنائنا الذي نعيش تحته أن هذه الحركة المباركة لما قامت لأجل الإنقاذ كان ميزان مصر التجاري هكذا :

إن مصر استوردت من الخارج مصنوعات وأدوات وضروريات وكاليات في الأشهر الخمسة الأولى من سنة ١٩٥٢ تزيد قيمتها ٣٧ مليوناً و١٤٧ ألف جنيه عما صدرته إلى الخارج من حاصلات مصر ومنتجاتها ، فمجموع ما دخل في جيوب المصريين من المال ثمننا اقطنهم ومحصولاتهم الزراعية ومنتجاتهم الصناعية نقص ٣٧ مليون جنيه عما خرج من جيوبهم ثمناً لما استوردوه من منسوجات وحبوب وأغذية وأدوية وأدوات ومكنات وخمور ودخان وأحمر شفايف وأدوات زينة وتوافه سخيقة ، ولا يدخل في هذا النقص الخفيف ثمن كل ما أدخل خلصة وبطريق التهريب من حشيش وكوكايين وسموم أخرى منع القانون مرورها من الجمارك فلم يتناولها الإحصاء الرسمي ، وإن أمة تخسر في خمسة أشهر ٣٧ مليوناً هي فرق

ثمن ما تنفقه من أموالها في الخارج عن ثمن ما تصدره من محصولاتها إلى الخارج ، لى أشبه بمن يعيش تحت بناء منهار ، وإذا دعا محمد نجيب أمتة إلى التقشف فينبغي لكل مصرى وكل مصرية أن يفهما من ذلك أن النجاة من انهيار البناء على رموس الجميع متوقف على الاستغناء عن هذه التوافه التي تعرضها المتاجر الكبرى في أكرم موضع من أماكنها البارزة ، وتسلمت عليها أنوار الكهرباء فتخادع صغيرات العقول من النساء وضعاف الأحلام والأخلاق من الرجال حتى يخرجوا ما في محافظهم من الجنهات فيقذفوا بها في بالوعات هذه المتاجر لتنتقل إلى بلاد الغرب تاركة وراءها هذا البناء المنهار الذي نعيش تحته . ولو أن هذا المعنى يلاحظه كل مثقف في أوروبا تعلم من بلاد الإنجليز استعمال شرابهم الويسكى ، أو تعلم من بلاد فرنسا استعمال شرابها من الكونياك ، لخجل من نفسه إن لم يخجل من ربه ، ولضن "بنقود مصر أن تتحول إلى الخارج عن طريق هذه السكؤوس التي يهدم بها السكر نعمة العافية عليه من الله ، كما يهدم بها هذا البناء الذي نعيش تحته وهو الذي نسميه الوطن .

٣٧ مليون جنيه خسرتها في خمسة أشهر من أول يناير إلى آخر مايو من سنة ١٩٥٢ ، والجناية على الوطن من هذه الخسارة واقصة على رأس كل امرأة تبذل أموال زوجها ووطنها في توافه الزينة وسخافات المتاجر الكبرى ، وتقع على كل من يضع بين شفثيه سيجارة ليحرق ثمنها في الهواء ، أو يقرب كأس الويسكى أو الكونياك من فه ليكون ثمن ذلك إعانة منه لتجار الخور وصانعيها في البلاد التي تشكل بأهل تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، أو تصب وابل العذاب على أهل كينيا .

إن دعوة الرئيس أمتة إلى التقشف دعوة كريمة إلى التحرر ، من الكاليات والسخافات والتوافه . وهذا التحرر مصدر من مصادر السعادة ، ومرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وإعدادها لحل أعباء المجد ، ومواجهة المصاعب عند وقوعها . وقد حاول الاسبرطيون هذا التحرر ، بالمرانة والاعتیاد فكانوا به من أهل الكفاح والغلب . ونشأ عليه العرب بالفطرة ، فأهلهم ذلك لحل أعباء الرسالة الإسلامية والنجاح بها في أقطار الأرض بما بعده التاريخ من المعجزات التي لا يعرف مثلها لغير العرب . وكما أن العربي كان يرى من البلاغة ، أن يخنزل من بيانه كل حرف يستطيع أن يؤدي غرضه بالاستغناء عنه ، كذلك كان يرى من التحرر ، أن يستغنى في معاشه عن كل هنة يستقيم له العيش مع الاستغناء عنها . ولعلم كل شعوبى على وجه الأرض أن ذلك لم يكن من العرب عن قلة

وفاقة وحرمان ، بل لانهم يرون فيه تمام حريتهم واكتمال إنسانيتهم . ألا ترى إلى معاوية رضى الله عنه يوم استقدم إلى الدار الخضراء في دمشق حرة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولي عهده ، فضاقت صدر هذه السيدة الحكيمة - وهي ميسون بنت بحدل القضاعية - بترف أهل المدن الذي يجافي طبعها العربي الحر ، ولا تزال إلى اليوم تترنم بقولها :

ليت تخفق لأرواح فيه أحبُّ إلى من قصر منيف

فهذه النظرة السليمة إلى الحياة هي مما أهل قوم ميسون بنت بحدل للنهوض بعبء الإسلام ، وتحقيق أهدافه ، وتربية الأمم عليه في صدر الإسلام ، ففهم الناس منهم أن الإسلام دين الاعتدال في كل شيء : الاعتدال في الثروة والغنى ، والاعتدال في الفقر والزهد ، والاعتدال في الحب والبغض ، والاعتدال في الراحة وبذل الجهد ، بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى في الدين : لا رهبانة في الإسلام ، ، ، إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ، الدين يسر ، ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه ، ، إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ، .

فالإسلام يدعو إلى الاعتدال في الدين ، وفي المعيشة ، وفي كل شيء . والرئيس محمد نجيب إذا دعا إلى التقشف فإنه يدعو إلى مدلوله الإسلامي ، وهو ، التحرر ، من الكاليات والسفاسف والمظاهر الكاذبة والأعراض الزائلة ، ولا يعنى به معناه البرهمي الذي طرأ علينا باسم التصوف فأدى إلى تعذيب النفس بما لا فائدة منه ترفيحي في المجتمع الصالح .

إن محمد نجيب كان يصبح بنا وهو يرسي حجر الأساس في بناء الإذاعة اللاسلكية لنصحو من غفلتنا ، ونفريق من سكرتنا . وهو لا يريد بنا أن نتكشف تقشفا برهيميا إلى الحد الذي كان عليه غاندى ، ولكنه يريد منا الاعتدال على طريقة الإسلام وسجية العرب لوصل ما انقطع بين حاضرنا وماضينا ، ولنتدارك ما سيقع على رهوسنا من انهيار البناء في المستقبل إذا أصررنا على هذا السرف الذي انقضى عهده مع العهد البائد ، فإلى العهد الجديد واعتداله أيها المواطنون .

حُب الدين الخطيب

رواية الحديث وندونه

الحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلق أو خلق؛ أو هو أعم من أن يكون قول الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين وفعلهم وتقريرهم .

ولا يكاد يخلو صحابي من رواية شيء من الحديث النبوي قل أو كثير؛ وقد اشتهر بسعة الرواية منهم طائفة حصرهم الذهبي في واحد وثلاثين، منهم اثنان من أزواجه ﷺ . هما: عائشة وأم سلمة - رضی الله عنهما - وخلفاؤه الراشدون الأربعة رضی الله عنهم ، وأوسعهم رواية هلي ، ويليه عمر ، ثم عثمان ، ثم أبو بكر .

وأكثر الصحابة رواية أبو هريرة ، فروايته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون ، ثم عبد الله بن عمرو . فله ألفان وستمائة وثلاثون ، ثم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فله ألفان ومائتان وستة وسبعون ، ثم عائشة ، فلها ألفان ومائتان وعشر ، ثم عبد الله بن عباس ، فله ألف وستمائة وسبعون . تحقيقاً كالمطور علوم رمدى

وليس معنى ما سلف أن الخلفاء الراشدين دون أبي هريرة ومن يليه علماء بحديث رسول الله ﷺ ، فهم أدري بشأنه كله ، وغايته أنهم لم يكثروا من التحديث ، لمثل ما ذكره الذهبي بإسناده إلى قرظة بن كعب . قال : لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم . مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك أنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوم بالاحاديث فتشغلوهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ، وأنا شريككم ، فهو كما ترى تحرّج من مزاحمة القرآن ، أو تخوف مما تجره كثرة الرواية من الشبهات . وقد صرح بأولى العلتين عروة بن الزبير فقال : كنا نقول : لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله ، فحوت كتبي ، فوالله لو ددت أن كتبي عندي . إن كتاب الله قد استمرت سريرته . وصرحت بالثانية عائشة فيما ترويه عن أبيها رضی الله عنهما إذ أحرق صحيفة كانت عنده فيها خمسمائة حديث خشية أن يكون فيها حديث عن رجل قد ائتمنه ووثق به ولم يكن كما حدثه .

هذا ومن أسباب سعة الرواية طول الصحبة ، وهو من أسباب إكثار عائشة وأم سلمة رضی الله عنهما ؛ وهو ، والرواية عن بعض الصحابة ، وطول العمر من أسباب إكثار أنس خادم رسول الله ﷺ . فقد أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ، وطائفة ، وجميعها مع قوة الحفظ من أسباب إكثار أبي هريرة . فقد كان مسكيناً من أصحاب الصفة يلزم النبي ﷺ على ملاء بطنه ، فكان يحضر ما لا يحضر من إخوانه من المهاجرين والانصار ، ويعى ما لا يعون . وروى أبو هريرة عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب . وعن الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ، ونحوه يقوله عن نفسه ؛ والكتابة من أسباب إكثار عبد الله بن عمرو بن العاص . كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم . وقال : إنه كان يكتب عن النبي ﷺ وكنت لا أكتب .

هذا وليس بعجيب أن نرى التابعين وتلاميذهم أوسع رواية من الصحابة . فإنهم جمعوا إلى ما تفرق من رواياتهم فتأروهم وآثارهم ، حتى كانت رواية سفيان بن عيينة نحواً من سبعة آلاف حديث ، وشعبة بن الحجاج - الذي يقول فيه الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق - عشرة آلاف حديث ، والحناد بن سلمة بضعة عشر ألفاً ، وإبراهيم بن سعد الزهري نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي ، وسفيان الثوري - وهو وأبوه من علماء الكوفة - ثلاثون ألف حديث ، ولهشيم بن بشير ابن أبي غازم نزيل بغداد عشرون ألف حديث ، وقد اتصل رواية الرجل الواحد إلى مائة ألف ، كعبد الله بن وهيب بن مسلم ، وبعد هذه الطبقة بلغت رواية البخاري أربعمائة ألف ، ومسلم ثلاثمائة ألف ، لم يخرج منها إلا عشرة آلاف ، بل روى أن الإمام أحمد بن حنبل كان حفظه ألف ألف .

والروايات مضطربة في إباحة تدوين الحديث ، وصورة من هذا الاضطراب في كشف الظنون . وقد عرفت رأى الصديق في ذلك ، فيما روته عائشة ، من إحراقه الصحيفة لما سلف عنه رضی الله عليه ، وعلى أنه كان في صدر الإسلام كتابة للحديث ، كالذي سلف من كتابة عبد الله بن عمرو ، فالظاهر أنها لم تكن إلا لمجرد التقييد دون ترتيب أو تبويب .

وفي أوائل السيوطي : وأول من دون الحديث ابن شهاب في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وفيه قال مالك في الموطأ : إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله - كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم ، أن انظر فيما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته ، أو حديث عمر ، أو أخبار الخلفاء الأربعة وفقهاء الصحابة ، أو نحو ذلك فاكتبه لي ، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء ؛ فدون كثير من العلوم في خلافته ، رحمه الله .

وفي كشف الظنون : أنه اختلف في أول من صنف ، فقيل : الإمام عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج البصري (في سنة ١٥٥ هـ) . وقيل : أبو النصر سعيد بن أبي عروبة (في سنة ١٥٦ هـ) ، وقيل : ربيع بن صبيح (في سنة ١٦٠ هـ) ، ثم صنف سفيان بن عيينه ، ومالك بن أنس بالمدينة ، وعبد الله بن وهب بمصر ، ومعمر وعبد الرزاق باليمن ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة ، وحامد بن سلمة ، وروح ابن عباد بالبصرة ، وهشيم بواسط ، وعبد الله بن المبارك بخراسان .

ومن مظاهر الحرص آتخذ على التدوين والاختصاص عن الشيوخ قول ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ؛ ومن مظاهر عناية الخلفاء بالمحدثين ، أن الرشيد وصل أبا بكر ابن عباس المحدث الكوفي بستة آلاف دينار . وعن أبي معاوية الضرير ، محدث الكوفة ، : أكلت مع الرشيد فصب على يدي رجل لا أعرفه . فقال الرشيد : يا أبا معاوية ، تدرى من كان يصب على يديك ؟ قلت : لا . قال : أنا . قلت : أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . لإجلال العلم ؛ ووراء هذه العناية الديفية عناية أخرى أدبية فمثل أبي نواس من الشعراء وإسحاق الموصلي من المغنين والأدباء من رواة الحديث الآخذين عن الشيوخ ، فقد كتب أبو نواس الحديث عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السمان وغيرهما ، وروى إسحاق الحديث ، ولقي أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية الضرير وروح بن عباد وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

كَيْفَ بَنَى الْمُسْلِمُونَ مَجْدَهُمْ

ذكر التاريخ في أنصع صفحاته ، ذلك المجد الذي بناه المسلمون في مطلع فجرهم ومشرق شمسهم . وكتب بمداد العجب والفتخار ، عن تلك الهمم العلياء التي دفعت بالمسلمين إلى جوب البقاع والوهاد ، وطى المهامه والفيافي ، وإخضاع الممالك المترامية الأطراف في أقل من ربع قرن من الزمان .

ولقد بينت الحوادث الخالدة أن ذلك المجد لم يكن وليد الحظوظ ، ولم تسقه المصادفات ؛ ولكنه كان محفواً بكثير من المخاطر ، مقروناً بشقى المتاعب والمصاعب .

ولولا الثقة بالنفس ، والاستهانة بالحياة ، لوقف المسلمون حيث بدءوا ، وماتوا حيث ولدوا ، وبادوا حيث وجدوا .

وإذا كان الإنسان كبير النفس ، وثاباً إلى المعالي ، فإنه يخلق في الآفاق بأجنحة من الفتخار ، ويبني مجده على هامة الوجود .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

اعتقد المسلمون في مبدأ أمرهم أنهم خلقوا للكفاح والجهاد ، وأنهم وجدوا للنضال والجلاد ، وأن الدين يتقاضاهم واجب الدفاع عن الوطن ، والذيادة عن حياضه ؛ فهبوا عاملين لا يرهبون الموت ، ولا يتهيبون المنايا ، ولا يحرصون على البقاء ، حتى حققوا المجد العريض ، وأدركوا الشرف الرفيع .

لقد أحبوا الموت فوهبوا الحياة ، وباعوا القليل فربحوا الكثير ، وهجروا الأكواخ فسكنوا القصور ، وشقوا زمناً قليلاً ، فسمعدوا دهرأ طويلاً ، وذلك شأن العاملين ، ومآل المخلصين ، ونهاية المجاهدين .

ذلك كان شأن المسلمين أيام كان المسلم يعلم أن عليه واجبات يتقاضاها منه ربه ودينه ، ووطنه وأمه ، فيبادر إلى قضائها مبادرة الظاهىء إلى ورد الماء ، ويندفع إلى أدائها اندفاع السيل في مجراه ، والسهم صوب مرماه .

كانت نفوس الجماعة إذ ذاك ملتزمة ، والقلوب متصافية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضاً ، فملا شأنهم ، ونبه ذكركم ، واستقام أمرهم ، وتلفتت نحوهم الأيصار
والعيون ، تضيء عليهم الإكبار والإجلال .

مضى ذلك العصر بخيره ، ومضى معه ذلك التراث الذي خلفه الآباء ، وكان مشار
الإعجاب ، وموضع الفخار حقاً من الزمان .

مضى ذلك ، من يوم أن احتل البغض في القلوب موضع الحب ، والشينات والفرقة
موضع الاتحاد والالفة ، والتدابير والتقاطع موضع التواد والتواصل .
« وإذا انفرد عقد الأمة ، وسرت فيها روح التخادل ، فقد أفل نجمها ، وغابت شمسها ،
وطويت صحيفتها ، .

نعم ضاع ذلك المجد التليد من يوم أخذت الأمة بتلايب الانفراط ، وأقام أفرادها
من أنفسهم أما متشعبة ، هم الواحد منهم أن يكون لنفسه عوناً ، وللغريب على أمته ساعداً
وعضداً ؛ ونسوا أن الأمم تحيا وتموت بأفرادها ، وترجح وتخف كنفها بأبنائها . فإذا
أخذتهم الغيرة عليها ، وأشربت قلوبهم محبتها ، وعلوا أن المجموع هو الفرد المتكرر ،
استطاعوا أن يبقوا أممهم على الدهر تنصرع تحت أقدامها خطوبه ، وتتهار أمام قوتها صروفه ،
وتتمزق بسطوتها أحداثه .

وإذا ركبوا أهواءهم ولم يرعوا لامتهم كرامة ، ولم يروا لها حرمة ، فقد أسلبوها إلى
الفناء ، ورموها بأيديهم في مكان سحيق .

بالأمس وقف الإسلام وقفة ، كان ملء عين الدهر وبصره ، وتلا على الشعوب كتاب
القوة من مبتدئه إلى خيره ، وخط في أفق الوجود سطوراً من الحكمة ، وعنها الأمم المعادية
له وحذقتها ، واسترشدت بها واستضاءت بنورها .

أما أبنائها فقد استناروا بها حيناً من الدهر ، بلغوا فيه أوج السعادة ، ثم طاف بهم
طائف من التفريط ، شأن كل غالب يرتكز على قوته ثم يهمل أمرها ، ويعتمد على ظفره
دون أن يرعاه بالحطية .

طاف بهم ذلك الطائف وهم في نشوة النصر ، وسكرة الظفر ؛ وقد نسوا أن هناك أمماً
مغمورة بسيفهم ، وعروشاً مثلولة برماحهم ، وأن الموتور لا ينام عن وتره ، وأن ضعيف
اليوم ربما يكون قويا في غده .

نسوا ذلك فكان المصير ما نراه ، وكان المآل تلك الحسرة التي تحترق بنارها قلوبنا حزنا على ما فقدناه من مجد بناء الآباء بلبنات من فلذ الا كباد .

أيها المسلمون : لا ضعف بدائم أبداً ، ولا قوة بياقية على الدهر ، ولكن الأيام دول ، والامم التي تتفتح عيونها تسترد شبابها ، والدول التي تنزبه عقولها تستعيد مجدها ، والشعوب إذا أنجبت شبابا يشعر بالواجب يجتمع شملها ، ويتجدد بناؤها .

ومن كان مثل الامة الإسلامية التي تمشى إلى الحياة ، في ضوئها من دين قويم يهتدى بنوره ، ومجد رفيع تستمد منه القوة ، توشك أن تعود إلى ما كانت عليه يوم لا سلطان في الوجود إلا سلطانها ، ولا قوة في الارض غير قوتها . أجل إن مثل الامة الإسلامية مع مميزات لو أخذت بالاسباب التي أخذ بها السلف الصالح ، وانتهجت تلك الجادة التي انتهجها أولئك الاجداد السابقون ، لخطت إلى بغيتها أميالا في المدة التي يخطو غيرها فيها بضع خطوات . وما ذلك إلا أن هناك دافعا من الدين الإسلامي ، الذي طبع نفوس ابنائه بطابع العمل والكفاح ، وهناك أسس من المجد لا تزال قوية القواعد ، ولا تحتاج إلا إلى أيد عاملة تقيم عليها ما تشاء من البناء ، وليس بعد ذلك إلا السعادة المبتغاة .

ليس بين المسلمين وبين استعادة مجدهم وقديم عزمهم ، إلا أن يمشوا على جسر من وحدة الكلمة واتحاد المشرب ، وأخذ القوى بيد الضعيف ، وأن يكونوا كتلة واحدة غير متخالفة الاجزاء ، ولا متفرقة الاوصال .

ليس بينهم وبين الحياة الحققة إلا أن يرجعوا إلى تعاليم دينهم ، ويقفوا عند حدوده المشروعة ، ويتخلقوا بالاخلاق الكريمة التي كانت لآبائهم ، والتي مكنتهم من الغاية والظفر ، كالشجاعة والإقدام ، ومباراة الامم في الجد والكفاح .

إذا تداركوا أنفسهم بالتعلى بهذه الصفات ، وبرموا من كل خاق ذميم ، ونظروا بأعينهم إلى أسباب الفرقة فاجتثوها من قلوبهم ، ففسد وقفوا في صفوف الامم الحية ، وساروا في طريق الفلاح سيرا حثيثا ، حقق الله الآمال ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبدالمعظم فرغل البلبني

انتش بالازهر

المسئولة الحكومية في الإسلام

قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ذلك بأن لكل شخص سلطانا يستوى في ذلك سلطانه على زوجته وأولاده، وسلطانه على خدمه وتابعيه وسلطانه على موظفيه ومرؤسيه. ولما كان كل سلطان تقابله مسئولية تعادله، شمل الحديث سائر الذكور الناس جميعا، وكان بغير منازع أصلا من أصول القانون الدولي الخاص في العصور الحديثة. وإنه لمن دواعي الفخر حقا أن تسبق الدولة الإسلامية الأمم جميعا في العمل بهذا الأصل القانوني، ولا أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب في مسئولية الوالي: «والله لو عثرت دابة في العراق لرأيتني مسئولا عنها». فقيل له: وما ذنب أمير المؤمنين في ذلك؟ فقال: «أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليمشي عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب، من ثم كان الولاية والحكام المسلمون لا يحجبون أنفسهم عن الرعية حتى يتسنى لهم سماع كل شك ومظلوم، فقد قال المصطفى ﷺ: «أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إلي»، فإن من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة،

وبذلك أوجد نظام الحكم الإسلامي الأبواب كلها في وجه المحسوبة والرشوة، فحق الحق وأزهق الباطل، وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم. هكذا تميز هذا النظام بالعدالة الصحيحة. فالزوم كلا من الحاكم والمحكوم بقدر متساو من الواجبات. فأما واجبات الحاكم قبل الرعية فإنها تتلخص في: (١) تنفيذ أوامر الشريعة الغراء في الحكم، مع إقامة العدل والعدالة بين الناس (٢) حفظ الحقوق الطبيعية للأفراد مثل حق الحياة وحق العمل وحق إبداء الرأي. لهذا كان الحاكم الإسلامي يباشر بنفسه حالة الولاية والعمل مباشرة دقيقة.

وأما واجبات الأفراد نحو الحكومة فتتلخص في أمرين هما:

(١) طاعة الحاكم ولو كان عبدا حبشيا أو مفضولا بأفضل منه، مادام لم يظلم، وما دام لم يأمر بمعصية.

(٢) حفظ الأمن ودفع الضرائب والزكاة.

والمدهش حقاً هو تكافؤ واجبات الافراد مع واجبات الحكومة مما يقطع في الدلالة على أن نظام الحكم الإسلامى هو نظام دستورى بأوسع معانى الكلمة ، فكان الامير يستمد سلطته من بيعة شعبه له . ومن ثم كانت مسئولية الامير مسئولية كاملة بمعنى أنه مسئول أمام كل رجل من رجال الامة . ومن الامثلة الطريفة في ذلك أنه عندما تولى عمر ابن الخطاب الخلافة خطب الناس قائلاً : يا أيها الناس ، إذا وجدتم فى خطأ فأعينوني ، فقال له أحد الأعراب : والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيفونا ، فقال عمر رضى الله عنه : الحمد لله الذى جعل فى الامة من يقوم عمر إذا اعوج منه .

وينفرد الحكم الدستورى الإسلامى بأنه يمنح الافراد نوعاً من السلطة لا يتمتعون بها فى ظل أى نظام آخر ، فلم يثاق حماية غير المسلمين ، وعلى الامير أن يحترم هذه الحماية حتى ولو كان الرجل المحمى فى حرب مع المسلمين ، ويروى التاريخ فى ذلك أن أبا العاص ابن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وابن خالتها كان مشركاً ففرق بينهما الرسول فى مكة ، غير أن السيدة زينب لحقت بأبيها فى المدينة وهناك افتدت زوجها المشرك بالفلاة المهداة إليها من والدتها فى عرسها ، فرأها الرسول وقال : هذه فلاة خديجة . ولما وقف على حقيقة الامر قال لابنته : أكرمى زوجك ، ولا تجعله يقربك حتى يسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

وللناس أيضاً فى ظل النظام الإسلامى حق التمتع بجميع الحقوق العامة مطلقة غير مقيدة ، يستوى فى ذلك المسلم والذى . كما لهم أيضاً التمتع بالحقوق الخاصة من زواج وتعامل وتقاض ، فالفرد يستطيع أن يقاضى من يشاء ولو كان الامير نفسه ، فقد روى أن يهوديا قاضى سيدنا علياً بن أبى طالب أمام أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب فى إمارته ، فنادى عمر علياً : يا أبا الحسن قف بجوار خصمك ، فامتعض على من المناداة عليه بأبى الحسن . وبعد الحكم سأله عمر عن سبب امتعاضه فأجاب على : لأنك أكرمتنى بالمناداة على بكنتى . وبعد فهل هناك نظام أحق وأعدل من النظام الإسلامى الذى لو استقصينا مبادئه وأهدافه لرأيناه النظام المثالى الذى تنشده الإنسانية فى أرقى ما تصل إليه .

السيد كمال الشورى

مأمور الشهر العقارى

سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ

حمزة بن عبدالمطلب

أسد من أسود الله ورسوله ، وسيد من سادات المسلمين . ورث السؤدد عن آبائه ، واكتسب الفضل بصادق جهاده ، وانحدرت إليه الشجاعة العربية في أصلاب أجداده ، فكان الشهم الأبى ، والفارس المعلم ، والبطل المغوار ، وحامى الذمار . ذلكم هو سيد الشهداء أبو عمار حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو أحد فروع الدوحة الهاشمية الباسقة ، وعم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، إذ أرضعتهما ثوية جارية أبي لهب ، وكان أسن من رسول الله بستين ، وقيل بأربع ، والاول أصح . وأمه السيدة هالة بنت وهيب ابن عبد مناف بن زهرة ، فهي ابنة عم السيدة الفاضلة آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كريم الأبوين طاهر المعندين ، وما بالك بشخص يجتمع برسول الله في جده لأبيه ، وجدته لأمه ، وجمع إلى شرف النسب شرف الإسلام والجهاد في سبيله ، لا شك أنه من خيار الناس في جاهليته وإسلامه .

« إسلامه » : أسلم في السنة الثانية من بعثته ﷺ . ولما أسلم فرح بإسلامه رسول الله ﷺ فرحا شديدا ، لأنه كان أعز قتي في قريش وأشدهم شكيمة . وإسلامه قصة ، ذلك أن أبا جهل عدو الله ورسوله مر بانبي ﷺ عند الصفا فأذاه وسبه ونال منه ، ورسول الله يقابل سفيه بالصفح ، وجهله بالحلم ، وكان هذا المشهد على مرأى ومسمع من مولاة لعبد الله بن جدعان في سكن لها . ثم انصرف أبو جهل إلى نادى قريش بجوار الكعبة فجلس مع قرنائه القرشيين ، وكان حمزة رضى الله عنه من هواة الصيد والقنص ، وكان إذا رجع من قنصه لا يذهب إلى بيته حتى يطوف بالبيت الحرام ، وفي روحة من روحاته مر على الصفا متوشحا سيفه ، متذكبا قوسه فقالت له هذه المولاة : يا أبا الوليد - كذيفته - لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا من أبي الحكم بن هشام - تعنى أبا جهل - وجدته هنا جالسا فأذاه وسبه ونال منه ما يبكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . وآتت تحركت عاطفة الرحم في نفس حمزة ، وأخذته الشفقة على ابن أخيه ، وهو من بنى هاشم كما تعلم ، وأدركته لحظة من لحظات التجلى الالهي ، فذهب والدم يغلي في عروقه من شدة الغضب ، ولم يلو على شيء ،

حتى دخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم ، فقام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكورة ، ثم قال له : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فردَّ على ذلك إن استطعت . وقام رجال من بني مخزوم عشيرة أبي جهل لينصروه فقالوا لحمزة : ما نراك إلا قد صبأت — أي دخلت في دين محمد — فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقوله حق ؟ والله لا أفزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال لهم أبو جهل : دعوا أبا عماره (١) ، فإني والله قد أسمعت ابن أخيه شيئا .

انتهت الملاحاة إلى هذا الحد . ولكن أمرا ذا بال أهم حمزة وأوقعه في حيرة من أمره ، حتى استبان له الحق ، ذلك أنه لما رجع إلى بيته تصور عليه الشيطان وصار يلقي إليه بالوساوس ويقول له : أنت سيد قريش ، اتبعت هذا الصابي وتركت دين آبائك ، الموت خير لك مما صنعت . وبات بليلة لم يبت بمنلمها قط من وسوسة الشيطان وتليساته ، فلم يجد مفرًا من أن ياجأ إلى الله فقال : اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا .

ولما أصبح ، غدا إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : يا ابن أخي ، إني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري أرشد هو أم غي شديد . فأقبل عليه البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم فذكره وعظله وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما سمعه من رسول الله ، وشرح صدره لذلك ، فلم يلبث أن قال : أشهد أنك صادق ، فأظهر يا ابن أخي دينك .

وقد ازداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام عمه حمزة عزة ومنعة بين قريش ، وخفت حدة إيذاء المشركين له ، وأمكن لصبح الدعوة الإسلامية أن يتنفس بعد ليل طويل . ولقد أكل كبد المشركين أن يروا المسلمين يخرجون إلى الكعبة وفي مقدمتهم السيدان الكريمان عمر وحمزة ليعلنوها حربا شعواء على الشرك وأهله ، ويدعوا إلى عبادة الله وحده ، ونشر نور الهداية والعرفان .

حياة الكفاح والجهاد :

كانت حياة أسد الله حمزة بن عبد المطلب حياة الكفاح والجهاد ، فمن يوم أن أسلم بذل نفسه وماله في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية ، وما أن بدنت السرايا حتى عقد له رسول الله (١) كان رضى الله عنه يكنى بأبي عماره وأبي يعلى ، ومما ولدان له [أسد الغابة] ، وقد سميت آفقا أنه كان يكنى بأبي الوليد أيضا .

ﷺ اللواء ، ويقال إنه أول لواء عقد في الإسلام ، وأرسله على رأس سرية ليقطع على أبي جهل وغيره الطريق جزاء على عقوقهم وإخراجهم المسلمين من ديارهم وأهلهم وأموالهم ، فقام بمهمته خير قيام ، وإن لم يقع بينه وبين المشركين قتال . وفي غزوة الالبواء كان يحمل لواء رسول الله ورايته البيضاء حمزة بن عبد المطلب ، ولا تسلم عما كان من أسد الله في غزوة بدر الكبرى التي فصل الله فيها بين الحق والباطل ، ففيها خرج من صفوف المشركين ثلاثة : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، وطلبوا المبارزة ، فبرز إليهم ثلاثة إخوة من الأنصار ، فقال عتبة نريد أبناء عمومتنا . فندب لهم رسول الله عبيدة ابن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وثلاثهم من بني هاشم ، ولم يلبث حمزة وعلي أن أجزا على صاحبيهما وأعانا عبيدة على صاحبه ، وحمل عبيدة إلى رسول الله تشخب ساقه دما ، فوسده رسول الله ﷺ ساقه وبشره بالجنة . ولما التحم الجمعان : جمع المسلمين وجمع المشركين ، أبلى السيد حمزة في هذا اليوم بلاء مشهودا ، وأظهر من نفسه شجاعة منقطعة النظير .

ونطوى بعض صفحات من التاريخ لنصل إلى غزوة أحد التي ابتلى فيها المسلمون ، فقد قاتل فيها حمزة قتال الأبطال ، وما قرب منه أحد من الأعداء إلا قصمه بسيفه البتار . وروى أنه كان يقاتل يوم أحد بسيفين ؛ ويبدأ ويتجول ويصول في المعركة إذ استمكن منه وحشى غلام جبير بن مطعم فرماه بحربته التي لا تخطيء الهدف ، فخر شهيداً بعد أن أرضى الله وأرضى رسوله ، وهانذا أدع وحشيا يحدث عن فعلته النكرام ، التي كفر عنها فيما بعد بقتل مسيلة الكذاب ، قال وحشى - وقد سئل عن مقتل سيد الشهداء حمزة - : سأحدثكم ما حدثت به رسول الله حين سألتني عن ذلك ، كنت غلام جبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعني فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة فلما أخطى بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأبصره حتى رأيت في عرض الناس كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدماً ما يقوم له شيء ، ثم قال : فمززت حربتي حتى إذا رضيت عنها ، دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله ، فذهب ليقوم نحوى فغلب ، وتركتها وإياها حتى مات فأخذت حربتي ثم رجعت إلى مكة فعتقت . . ومكث وحشى بمكة حتى فتحت على المسلمين ، فهرب إلى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليدلوا ، عيئت عليه المذاهب . حتى هم أن يذهب إلى الشام أو اليمن ، وبيننا هو في هم قبيض الله له رجلا فنال له : ويحك ، والله إن محمدا لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه وشهد شهادة الحق ، فخرج حتى أتى المدينة فوقف على مجلس رسول الله وهمد شهادة الإسلام ، فلما رآه رسول الله قال : أوحشني أنت ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : خذني كيف قتلت حمزة فخذته ، فلم يتالك رسول الله نفسه أن قال : ويحك ، غيب عني وجهك فلا أرينك ، وكان يحرص على أن لا يرى رسول الله وجهه ، ورسول الله بشر وإنسان كامل الإنسانية ، ثم هو رقيق القلب بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فلا عجب أن طلب من وحشي أن لا يراه لأن وجهه تتمثل فيه صورة مقتل حمزة وتمثيل المشركين به وبقتلى أحد ، فيثير في النفس كوامن الآسى والحزن ولواعج الألم والحسرة على هؤلاء الشهداء الأبرار ، وقد حزن رسول الله على عمه حمزة حزنا شديدا ، ولا سيما وقد مثل به المشركون ، فقد بقرت هند بنت عتبة - الموثورة من المسلمين من يوم بدر - بطن حمزة وأخذت كبده فلا كتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها ، وجدع أنفه وأذنه ، وليس أدل على حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة ، من هذه الكلمات التي قالها وهو واقف عليه ، إن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا ، وفي رواية أنه قال : رحمتك الله يا عم ، لقد كنت وصولا للرحم ، فمولا للخيرات ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في قبر واحد ، فدفن عمه حمزة مع عبد الله بن جحش ، ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب في قبر واحد ، وذلك في سفح أحد ، ولا يزال قبره معروفا هناك .

وكان عمر سيدنا حمزة حين استشهد خمسا وخمسين سنة رقبيل سبعا وخمسين سنة ، فرضى الله عنه وأرضاه .

وبعد ، فهذه صفحة مشرقة من حياة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، يتمثل فيها الطهر والوفاء ، والشجاعة والإخاء ، وبذل النفس في سبيل العقيدة ، والثبات في مواطن الموت ، والصدق عند لقاء الأعداء ، والاستشهاد حيث تطيب الشهادة ، فلا عجب أن لقبه رسول الله بأسد الله وأسدرسوله ، وإن كان بحق «سيد الشهداء» . وعسى أن يتخذ المجاهدون والمكافحون في سبيل عقيدتهم وحررياتهم من هذه السيرة العطرة . أسوة حسنة يتأسون بها في حياة الكفاح والجهاد ، وأن يستفيثوا بها في شق طريق الظفر والنصر ، وحب الاستشهاد في سبيل الحق والمثل العليا ، لكي يكتبوا في سجل الخالدين .

محمد محمد أبو شهبة

المدرس بكلية أصول الدين

موقف الإسلام من الشيوعية والرأسمالية

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الأهرام ، الخاص يقول :

كانت جلسة هادئة طيبة ، تلك التي جالستها مع فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، في حفلة خاصة كان الشيخ الأكبر فيها ملئقي الأنظار ، وموضع التقدير ، وكان كل واحد يجب أن يستأثر به ليقف على جاية حكم من أحكام الشريعة في موضوع معين ، وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لأنبين موقف الإسلام من الشيوعية ، وحكمه على الرأسماليين ، ونظرته إلى الفقراء بين هذه وتلك ، وقد حمدت لفضيلته أن آثر الأهرام ، بعنايته فأجاني إلى طلبتي وتحدث إلى بقوله :

من مظاهر الكمال في دين الإسلام وأحكامه ، أنه لم يعارض الفطرة الإنسانية في طبيعة من طبائعها ، وحتى ما كان فيه انحراف أو مظنة زلل من هذه الطبائع الإنسانية ، فإن الإسلام اكتفى بتعديله وتوجيهه وجهة خير ، مع إقراره أصل الفطرة ، ومحاولة تهذيبها وإصلاحها . ولما كان مبدأ التملك الشخصي ، من مقتضى الفطرة ، فإن الإسلام اعترف به وأقره ، ولكنه جنح فيه إلى الاعتدال ، كدأب الإسلام في الأمور كلها ، واشترط أن يكون هذا التملك الشخصي بالأساليب المشروعة التي أحياها الله . ثم رتب عليه تكاليف شرعية ، هي نصيب الجماعة من أموال أصحاب الأموال ، كما حث أهل الغنى على الأخذ بأيدي أهل الفاقة ، حتى لا يكون في المجتمع الإسلامي إلا المحبة والتراحم والتعاون ، على البر والتقوى .

وكما أقر الإسلام مبدأ التملك الشخصي وجنح فيه إلى الاعتدال ، ونظمه تنظيمًا يسعد به المجتمع ، كذلك أقر مبدأ آخر من مبادئ الفطرة ، وهو تفاوت الناس في مواهبهم ومداركهم ومقدرتهم على الكسب لأنفسهم وعلى النفع للمجتمع ، فهذا التفاوت موجود في كل زمان ومكان لأنه من فطرة البشر ، ويترتب عليه التفاوت والتفاضل في المعاش ، لكن الإسلام مع إقراره هذا الأمر الفطري ، شرع الأحكام لتعديل آثاره والتقريب بين طبقات الناس ،

وأوجد لهم مراتب أخرى يكتبونها من فضائلهم الأدبية والخلقية ، وجعل لذلك قيمة رفيعة في المجتمع الإسلامي ، بحيث يغبط أهل الدرجات العليا في المال لإخوانهم من أهل الدرجات العليا في الأخلاق والفضائل ، بحسب ما سنه الإسلام لأهله في المجتمع الإسلامي .

ومن أعظم ما اتخذته الإسلام ، لحماية الفقراء من استغلال الرأسماليين وأصحاب الأموال تحريمه للربا وقطعه لدابر المراباة في المجتمع الإسلامي . وهذه الحماية ، لا نظن أن أمة من أمم الأرض — حتى ولا المحكومة بالشيوعية — تمتعت بمثلمها في نظام غير نظام الإسلام .

وتزعم الشيوعية أنها نزعت عوامل الاستغلال ، ووسائل استعمال الثروة من أيدي الأفراد ، فحرمت عليهم امتلاكها ودفعت بها إلى الجماعة . والذي يتأمل في الواقع ، يرى أن ما زعموا أنهم فوضوا أمره إلى الجماعة في وسائل الإنتاج وتوزيع المنتجات والمصنوعات ، إنما تولته في النظام الشيوعي هيئة قليلة العدد من الرجال المظمين ، فبعد أن كان هذا التملك خفيف الوطأة بما هو معرض له من المنافسة وتعدد المالكين ، أصبح في النظام الشيوعي منحصراً في إدارة واحدة ، يقوم عليها نفر قليل ، يتمتعون الآن بما يشاء وقصور لا تقل نخامة وسرفاً وغطرسة واستعداداً عما كان في قصور القياصرة ، بينما الجماعة كلها مجندة في السلم والحرب لتفضي حياة مئمة على وتيرة واحدة لا تزيد عن حياة العمال في البلاد الأخرى ، غير أن العمال يملكون في البلاد الأخرى أمرهم ويستقلون بإرادتهم وتصرفاتهم ، فينتقل أحدهم من مصنع إلى مصنع إذا أراد . أما جمهور الأمة في النظام الشيوعي ، فسلوب الإرادة ، ولا يملك حق الانتقال من مصنع إلى مصنع ، لأن المصانع كلها لا تتمتع بمزية التنافس ما دامت إدارتها في يد واحدة ، تنصرف في جميع العمال كما تنصرف في المواد الخام . وبذلك تحول أغنياء البلاد المحكومة بالنظام الرأسمالي ، إلى رجل واحد في النظام الشيوعي ، يتصرف بلا منافس في كل ما في البلاد من بشر وشجر وحجر ، كما تحول إقطاعيو البلاد الأخرى ، إلى إقطاعي واحد في النظام الشيوعي ، فأضحى رعاياه محجوزين وراء ستار حديدي ، لا يدخل عليهم أحد ولا يتمكن من الانفصال عنه أحد .

هذا في أمور العيش وحرية التملك ، وأما في أمور الدين وحرية الدين ، فإذا كان أهل الديانات الأخرى سيكون من اضطهاد الشيوعيين لهم في كنائسهم والسيطرة على عباداتهم ، فإن المسلمين يزيدون على ذلك أن دينهم لا يتمتع على أنه دين عبادة ومسجد ، بل إن نظامه

المالى والاجتماعى هو من صميم الدين ، وحرمان المسلم من حريته فى نظامه المالى والاجتماعى ، يعد حرماناً له من عناصر مهمة هى أيضاً من كيان الدين ، وهى خير لكل مسلم من أى نظام آخر ولاسيما النظام الشيوعى ، الذى يضطهد كل الأنظمة المخالفة له ، ونظام الإسلام فى طبيعة الأنظمة المخالفة له من كل وجه .

ولأن الإسلام فى اعتداله وكونه من الأصل لم تشرع أحكامه لمصلحة أى طائفة من الطوائف دون غيرها ، ولا أى طبقة من الطبقات دون غيرها ، بل إن الله شرعها لجميع بنى الإنسان ، بتعديل طبائعهم وتهذيب فطرتهم بعد إقرارها والاعتراف بها ، وبذلك جمع التشريع الإسلامى فى نظامه الاجتماعى والمالى ، جميع الحسنات والمزايا التى توجد فى كل نظام آخر ، وجرده من جميع العيوب التى توجد فى أى نظام آخر . وكان من أعظم ما أسىء به إلى الإسلام ، إطلاق يد الأقوياء فى معايش الضعفاء ، حتى تجاوزوا حدود الاعتدال الإسلامى فى التملك والتسلط والآثرة ، بل لم يكتفوا بتجاوز حدود الاعتدال ، حتى خرجوا عن نظام الإسلام ، إلى ما حرمه من الاستغلال المحرم والبغى المنظم من الأقوياء على الضعفاء ، فانتهدت دعاة الشيوعية والمذاهب الباطلة هذه الحالة الشاذة ، التى كانت سائدة فى بعض بلاد المسلمين فاحتجوا بها عند قليل العلم بمزايا دينهم من عوام المسلمين ، أو المتعلمين تعليماً أجنبياً ، ومن هنا أصيب بعض أبناء هذه الأمة بهذه النزعات التى انزلت بها أقدامهم عن طريق الإسلام ، فامتلت بهم السجون ، وراح أهلهم وذروهم سادرين فى أحزان مؤلمة بسبب هذا الضلال الاجتماعى والجهل بدين الإسلام .

أما وقد من الله الآن بهذه النهضة التى أخذت فى القضاء على أسباب البغى والآثرة والاستغلال وانتزاعها من جذورها ، فقد زال ما كان يحتمل به دعاة الأنظمة الباطلة والمافية للإسلام ، وانفتح الطريق واسعاً أمام المستنيرين من شباب المسلمين ، ليبدؤوا فى الوعى القومى أن الإسلام باعتداله وعدالته ورحمته وتعاونته ومواسمته للجميع ، هو أكمل أنظمة الدنيا فى إسعاد الإنسانية ، لأن النظام الإسلامى أقر المبادئ المقررة فى فطرة الإنسان ، ثم هذب ميولها وعدل اعوجاجها ، وأحسن توجيهها إلى الحق والخير .

وإلى هنا شعرت أن الشيخ الأكبر قد وفى هذا الموضوع حق توفيقه ، فشكرته على عنايته واستأذنته على نشره فأذن مشكوراً .

ثورة الإسلام على الفوارق الجاهلية

درج الناس من قديم على أن يتمموا موازين، ويضعوا فروقا تكون أساس التمايز بينهم، ومعيار المفاضلة والترجيح عندهم، وسمات تحدد أماكنهم في بيئاتهم ومواضعهم من مجتمعاتهم. ولهذا يختلفون ويتباينون، فهذا سيد وذاك مسود، وهذا شريف وذاك حقير، وهذا له الفضل والصدارة، حتى لتجب طاعته وتلبي إشارته، وذلك له الضعف والتخاف حتى لا تحترم إرادته ولا تستجاب رغبته.

طبيعة تأصلت فيهم، وسجية تمكنت منهم، فأثرت في حياتهم وأقدارهم وموازينهم أثرا ليس بالقليل. لكنهم يختلفون في هذه المقاييس اختلافا يرجع إلى طبائعهم واتجاهاتهم، وما يؤثر من الممانى، أو يفضلون من مظاهر الحياة والأوان الجاه. فبعض الناس يروعه ويفتنه لون الخلفة البشرية والسحنة الآدمية فيفضل الأبيض على الأسود، أو يؤثر الأحمر على الأصفر، مدفوعا إلى ذلك، وإن لم يشعر، بالشهوة الحيوانية والنزوة الطاغية والعصية الجنسية، التي تفسد الحكم وتسيء التقدير وتعكس موازين الاختيار والترجيح.

وبعض الناس لا يستهدفون في أحكامهم إلا الجاه والحسب والنسب فيحكمون بالفضل ويدينون بالطاعة، لمن يزعمون له حسبا وجاها ويتوهمون له نسباً وطهراً. يورطهم في هذا ما ألقوه من صفار وذلة، وما نشأوا فيه من هوان واستخفاف.

وغير هؤلاء يوقرون الغنى المكثرا، ويعظمون ذا المال المورس، وإن طغى وبغى وملك الشح عليه أقطار نفسه، وشل منه عاطمة البر والمرحمة.

وطبعي أن تختلف الموازين وتضطرب القيم وتفضل العقول، ما دام رائدها الهوى وانفعال النفس، وما دام العامل الذي يوجه الناس إلى هذه الأحكام هو العصية الجاهلة

والاندفاع الاحق والاعتماد على مظاهر لا يرضاها عقل سليم ، ولا تقرها فطرة صحيحة ،
ولا يسندها دين إلهي كريم .

ولو ترك الناس لما تضطرم به الأهواء ، وتنزع إليه الشهوات ، لما أظلم سلام
ولا أسعدهم أمن ، ولا سرى فهم روح من الإخاء والتراحم .

ولكن الله الذي جعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، ورضى لهم الإسلام ديناً
والقرآن شريعة ومنهاجاً ، لم يدعم يتيهون في هذا الضلال كما ناهت أمم ، ويخطون في تلك
الظلمات كما خبطت شعوب ، ضلت هداها وتبعت هواها وتحكمت منها عصبية الجنس أو صولة
المال أو نزغة الجاه الزائف المكذوب ، بل إن الله تعالى بين للمسلمين في وضوح وقوة
وصراحة ، الحدود الواضحة والمعالم الصريحة والمميزات الحقة التي تستبين بها الخصائص
وتتميز القيم والأقدار ، وحارب مع ذلك المظاهر الخادعة التي يتوهمها الجاهلون مقاييس
للفضل ، وموازين للتقديم والرجحان .

حارب الإسلام فوارق اللون والجنس أشد حارب ، لأنها تبديد الأمم وتهلك الشعوب ،
وتدمر الأنظمة وتزرع الاحقاد في النفوس ، وتغرس الاضطغان في القلوب ، وتجعل المجتمع
يعيش في أتون مستعر من التفكك والانحلال ، ولأنها النزعة الآثمة التي تدعو إلى سيادة
جماعة لجماعة وسيطرة فريق على فريق . ونبه الناس إلى أنهم من أصل واحد ، لا يتفاضلون
إلا بالتقوى ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ،
إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأوحى إلى أتباعه أنهم لإخوة يوجب عليهم الإخاء أن يعيشوا
مقارنين ، ويدعواهم إلى العدل ورعاية الحقوق : « إنما المؤمنون إخوة » .

فجاء النفاضل الحق والترجيح الصحيح في نظر الإسلام ، هو التقوى والعمل الصالح ،
ولقد خطب رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية
وتفاخرها بالآباء ، كلمكم لآدم وادم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .
وقال صلوات الله عليه لأبي ذر ، حين تلاحي مع آخر وقال له يا ابن السوداء : « يا أبا ذر ،
أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » .

ذلك أصل كريم من أصول الاجتماع تعتمد عليه سعادة البشر، وتقوم على دعائه سيادة الأمم، فالكل في شرعة الحياة وتحت لواء القانون سواء .

أما ما تورط فيه أمم ضلت القصد وغشى على أبصارها وبصارها، فأقامت حواجز سميكة بين الملونين، حتى شب ذلك الصراع العنيف في أفريقيا من أجل ذلك، فهو نسيان لحكم العقل ومجاافة لأبسط قواعد الإنسانية .

ما أعجب أمر هؤلاء الذين يزعمون أنهم أرباب المدنية وحماة الحرية، ثم تتملكهم النزوات الطائشة والعصبية الممقونة والمقاييس الظالمة الطاغية، فيجملون للأبيض ما لا يباح للأسود، كأنما الطينة غير الطينة، والصانع غير الصانع. وتنشب من أجل ذلك الثورات الطاحنة وتسيل الدماء، فتخضب الأرض وتحيل جمالها إلى قبح مخيف، ومع ذلك يظل أولئك الطغاة البغاة سادرين في عدوانهم مغمنين في ظلمهم الوحشي .

لينظر من أعشت المدنية الخادعة عينه، ويعرف من عميت عليهم الأهور، أن الإسلام قرر حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً، ففقد إنسانيته وكرم بشريته ولم يجعل فيه عبودية إلا لله الذي خلقه في أحسن تقويم، فهل من معتبر وهل من مذكر ؟

لم يجعل الإسلام كذلك، للأنساب قيمة في أوضاع الناس وميزان أقدارهم، فقيمة المرء عنده بما يقدمه لأمته من الخير، وما يتقرب به إلى ربه من العمل الصالح، والرسول الأكرم ﷺ كان يقول: « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وكان يقول: « يا فاطمة بنت محمد، لا أغنى عنك من الله شيئاً، وهو الذي يدعو الناس دعرة قوية حازمة إلى العمل بهذا الأثر الكريم: « لا يأتيني الناس بأعمالهم وأنا تونى بأحسابكم » .

بهذه النعالم الكريمة والمبادئ القوية، قامت الدولة الإسلامية القوية، لا يظلم أحد أحداً، ولا يبغي إنسان على إنسان، فساعد الناس وعاشوا حيناً من الدهر كراماً أعزة. فلما نسوا تعاليم دينهم ورسالة نبيهم، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وسلط عليهم أعداءهم، ففرقوهم شيعاً وأحزاباً ومزقوهم طوائف وجماعات كلما دخلت أمة لعنت أختها .

هذا عمر بن الخطاب يجيئه رجل من أهل مصر فيقول: يا أمير المؤمنين سابقت ولدنا لعمر بن العاص فسبقته فضربنى، وقال أنا ابن الأكرمين. فاستدعى عمرراً وولده فلما مثلاً بين يديه أعطى الدرّة المصري، وقال له اضرب ابن الأكرمين كما ضربك. فلما فعل قال له

ضع الدرّة على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطانه . ثم التفت إلى عمرو وقال له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً .

فهل شفع لولد عمرو في دولة الإسلام نسبة أو أعفاه من العقوبة جاهه ؟ كلا .

وطالب سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ورهط من سادة العرب لقاء عمر بن الخطاب ، وطلبه معهم بلال وصهيب ، فأذن لها أولاً ، فغضب أبو سفيان وأخذته العزة وقال لأصحابه : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابهم ! فقال سهيل : أيها القوم ، إني أرى والله الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم . دعى القوم إلى الإسلام ودعيتهم ، فأسرعوا وأبطأتم . فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم . وهكذا انتصر الإسلام ورجال الإسلام لهؤلاء الذين يقال لهم عبيد ، وفضلوهم على من يزعمون أنهم وجوه القوم ورؤساء الحى .

أما المال الذي جن به الناس جنوناً ، وفتنوا به فتوناً ، والذي أصمهم وأعمى عن الحق عيونهم ، وأظلم بصائرهم ، فلم يحمل له الإسلام أثراً في قيمة المرء ، ما لم يكن عوناً على غوث ملهوف ، أو عون مكروب أو فك عان أو البر بمحتاج .

والقرآن الكريم يحكى أن قارون قد وهبه الله من السكّنوز ، ما إن مفاتحه لتتوه بالعصبة أولى القوة ، فلما لم يتبع فيما آناه الله الدار الآخرة ، ولما لم يحسن كما أحسن الله إليه ، عاجله الله بالعذاب وأغرقه في النكال : « نخسفنا به وبداره الأرض فسا كان له من فقه ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . »

وهذا عمر بن عبد العزيز بلغه أن ولدأ له اشترى خاتماً بألف درهم ، فكتب إليه يقول : « إذا أنك كتاب هذا فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن ، واشتر خاتماً بدرهمين ، واجعل فسه حديداً صيفياً ، واكتب عليه : رحم الله امرأ عرف قدره . »

هذه ثورية الإسلام على الأوضاع الظالمة ، وموازينته القويمة للحياة الحرة الكريمة .

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بهديه ، والسير على نهجه .

عبد الحميد المسلول

المدرس في كلية اللغة العربية

الإيمان يصنع المعجزات

لقد صنع إيمان أبناء الصحراء في فجر الإسلام معجزات ما زالت تهز روعها عروش الشرق والغرب ، وما زال المسلمون يبحثون أمام صورها خاشعين تنفض مشاعرهم وترتعش أحاسيسهم من رهبة ذلك الإيمان الذي انطلق من المدينة شامخاً جباراً لا تقمده لفحات الهجير ، ولا ترده انكسار الأعاصير ؛ لقد زلزل ذلك الإيمان الأرض تحت أقدام قريش في بدر فطار صناديدها .

طاروا وظنوا متون الجرد تحبسهم فلا تطير كساق الهارب الجرد

ثم دخل مكة بعد عشرة أعوام اغترب فيها عن مهده الأول دخلها قويا يحطم اللات والذرى على مرأى من عباد اللات والعزى . وأنى لهم حمايتها من تلك القفرة العارمة : قوة الحق ، وقوة الإيمان بذلك الحق ؟

هذا هو الإيمان الذي صرع قسيلة الكذاب وهو في نذرة من حراب قومه لم تثبت ساعة أمام حرارة الإيمان التي أسلمت عليهم أسوارهم ، وملاّت بالرعب قلوبهم ، فخرّوا مستسلمين ، وخر دونهم صلف العناد .

هذا هو الإيمان الذي صنع المعجزة في موقعة الجسر التي كانت بين العرب والفرس حينما نفرت خيول المسلمين من الفيلة فترجل أبو عبيد بن مسعود وتقدم وفي يده رمح وفي قلبه إيمان يضطرم ويدفعه لصراع الفيل الذي احتمت وراءه جيوش الفرس وطعنه بالرمح في عينه طئنة أطارتها فضربه الفيل ضربة صرعه ، وقد شنت أبو عبيد بطعنته عزم الفيل فجال المسلمون بعده بسيوفهم وإيمانهم في صفوف الفرس حتى كتب الله لهم النصر .

وذلك الإيمان هو الذي حمه المنيرة بن شعبة رسول المجاهدين المسلمين إلى ذى الجناحين أحد ملوك فارس حينما تقدم بين يديه وفي يده رمح يدك به البسط فيخرقها ثم قال لذلك : إنا معشر العرب كنا أذلة بطؤنا الناس ولا نظوم ، ثم إن الله بعث منا نبياً في عرف منا

وعدنا أنا سنملك ماها هنا ونغلب عليه ، وإني أرى ما هنا هيئة وبزة ما من خلفي بتاركها حتى يصيبوها أو يموتوا .

وقد صدق الله وفتح على المسلمين ذلك الملك الواسع فبات إيوان كسرى مصلى لسعد ولجيش سعد ، ورتت في أهبائه آيات القرآن فمحت صدى عزف القيان وامتلأت جوانبه بالراكمين الساجدين بعد أن غصت أحيانا بالمختالين الجبارين ، وقد ملك العرب بإيمان وحده بلاد الروم وزلزلوا عروشهم وقوضوا ملكهم . فأبن من المسلمين اليوم ذلك الإيمان الغازي الذي حمله الرعييل الاول فدنا له كل جبار عييد وانحنت أمامه هامات الاكاسرة وتطامننت عنده تيجان القياصرة ؟ أينه ليصنع نفوسا جديدة تصقلها حرارته وتثقفها قوته ، ثم تخرج إلى الوجود شاحخة تصنع ما صنع الاوائل ، وتبني الإسلام كما بنى المكافون الصابرون ؟ ليس الإيمان حديثا يذيعه اللسان أو خطبة منمقة أو قصيدة منسقة أو ألفاظا مصقولة أو أساليب معسولة .

ليس هذا هو الإيمان الذي فتح به المسلمون البلاد وخفقت في ظله البنود فوق الصين والهند وبلاد الفرس وبلاد الروم ، واجتاز به طارق بحر الروم إلى الأندلس .

نريد إيمانا لا كإيمان المنايقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

نريد إيمانا لا كإيمان العجائز اللواتي أسلطن الكبر إلى المحاريب يتبتلن بين يديها .

نريد إيمانا لا كإسراب يلع حتى إذا حزبت الشدة لم تجده شيئا .

نريد إيمانا صارخا يغلى في كل قطرة من دمنا بحقنا في الحياة ، وبسيادتنا لأنفسنا .

نريد إيمانا برسالتنا في هذا الوجود كمسلمين من حقهم أن يعيشوا ، بل من حقهم أن ينزعوا ، وأن يقودوا وأن يسودوا .

نريد إيمانا عميقا بمجدنا الذي كان ، وبحقنا أن نعيده .

نريد إيمانا نصارع به ما صنع العلم من مدمرات ، ونرهب به الاجنة في بطون الامهات

ليس الإيمان وليد العلم والثقافة والبحث ، وليس الإيمان وقفا على المعاهد والجامعات ، بل رب جاهل يصنع إيمانه من المعجزات ما يعيب قادة الامم وزعماءها .

أيها المسلمون :

عودوا إلى قلوبكم فتقبوا لعل ومضة من الإيمان تعيش بين جوانبها فألهبها لتصنع على ضوئها المعجزات .

أيها المسلمون : أنتم الآن مئات الملايين ، ولكنكم مستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنكم تعيشون بغير إيمان .

أيها المسلمون : إنكم تحبون الحياة ولن يجتمع حب الحياة والإيمان الذي يرخص الحياة .
أيها المسلمون : إن القرآن وهو المصنع الأول للإيمان تجرى على اللسان آياته ، فلا تجاوبها من القاب الخفقات . وهذا هو المصنع الذي صنع فيه المسلم الأول قلبا تتهاوى عنده الأهوال ويتقاعس عن إدراك عزائه الخيال .

إن القرآن لن يفشل أبدا في خلق النفوس القوية لو أنها عاشت له وتقدمت صادقة إليه .
فلنمش بأرواحنا في روحانيته لعلها تخالق من ضعفنا قوة ، ومن شبابنا فتوة ، ومن شعوبنا المشتتة أمة واحدة يحب الله أن يرادها خير أمة أستعذب الكفاح في سبيل فكرتها وعميدتها وتستهين بالموت لتشتري للإسلام الحياة .

محمد خليفة

المدرس في الأزهر

في يوم أحد

قال الشاعر الصحابي كعب بن مالك أحد بني سلمة من الأنصار يذكر يصف موقف المسلمين في يوم أحد :

أحايبش ، منهم حاسر ومقنع	لجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع	ثلاثة آلاف ، ونحن نصية (١)
جهام هراقت ماء الریح مقلع	فراحوا سراعاً موجفين كأنهم
أسود على لحم بييشة ظلع	ورحنا وأحرانا بقاء ، كأننا

(١) النصبة : الحيار والأشراف .

بين الفلسفة وعلم الكلام عند المسلمين

— ٢ —

لقد انتهينا في مقالنا الأول إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاءه من بعده إلى زمن فتنة عثمان رضى الله عنه ، كانوا يتمون من أمر دينهم بشيئين : هما إصلاح القلب بالإيمان الصادق والاعتقاد الصحيح ، وإصلاح النفس بالعمل ، والأول وهو الإيمان الذى وصفناه هو الأصل للثانى أى العمل ، فإن الإيمان الذى لا يحمل صاحبه على العمل بما آمن به لا يعول عليه ، ولا يؤبه له ، ولا يسمى إيماناً ، وإن كنا سنرى بعد اختلاط العناصر الدخيلة على الإسلام والمسلمين بالمؤمنين المخلصين أن كلمة الإيمان قد تقلصت حتى أصبحت كالشجرة العقيم التى لا ثمر لها ، ولا فائدة ترجى من ورائها .

لقد حدد القرآن الكريم فى أول سورة البقرة المتقين ، بأنهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، وبأنهم الذين يؤمنون بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل على من قبله من الرسل السابقين ، وبأنهم الذين يؤمنون بالآخرة . هؤلاء هم أهل الهدى من المؤمنين ، وهم أهل الدلائح ^(١) تحقيقاً كما يتصور علوم راسدلى

ثم بين فى موضع آخر أن المؤمنين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وأنهم يتوكلون على ربهم ، وأنهم الذين يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله وأن هؤلاء هم المؤمنون حقاً ^(٢) .

فالقرآن بهذا قد جعل الإيمان مركباً من أمرين - كما قلنا - اعتقاد ، وعمل . فإذا انعدم أو انعدم أحد ركنى الإيمان ، وهما الاعتقاد القلبى ، والعمل الجسمى ، فلا يكون إيماناً . على هذا الدستور القرآنى انقضت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن تلمذ لأصحابه من بعده .

وقد وقع خلاف فى بعض الحوادث التى لم يكن لها نظير فى عهد الرسول عليه السلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . من هذا اختلاف المسلمين فى موضع دفنه عليه السلام أياكون فى مكة مسقط رأسه ، أم فى المدينة . كان هجرته ؟ ثم أزال هذا الخلاف بينهم حديث

(١) الآيات ٢٠ ، ٢٣ ، ٤٤ ، ٥٤ من سورة البقرة (٢) الآيات ٢٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الأنفال

رسول الله صلى الله عليه وسلم والأَنْبياء يدفنون حيث يموتون ، ثم اختلفهم في الإمامة بين المهاجرين والأنصار ، ثم انتهى بمبايعة عمر رضى الله عنه أبا بكر رضى الله عنه بالخلافة ، ثم اختلفهم في قتال مانع الزكاة ، فقال قوم بقتالهم ، وقال آخرون بعدم قتالهم ، ولكن حزم سيدنا أبى بكر فى قتالهم قضى على هذا الخلاف .

هذا بعض ما وقع للمسلمين من خلاف بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، ولكن يلاحظ أن خلافهم كان فى أمور عملية لم يقع مثلها فى عصره عليه السلام ، ثم لم يلبثوا أن هداهم الله إلى الحق فيها وزال الخلاف ، لأن القلوب لم تنزل منيرة بنور الإيمان ، مضيئة بضياء النبوة . وسرى أنه كلما تقدم بنا الزمن بعيداً عن عهد الرسول انتاب القلوب غيم ، والنفوس رين ، حتى غاظت وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما بهيط من خشية الله (١) .

لقد رأينا أنه لم يقع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه شيء يمس ناحية العقيدة . وكل ما وقع فى عصره من خلاف إنما كان على أحداث وقعت من غير أن يسبق لها نظير فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإذا عرف أحدهم نصاً من كتاب أو سنة يفيد الحكم فيما حدث ، وقفوا عند حد النص ، وإلا اجتهدوا حتى تستريح نفوسهم إلى حكم فى الحادث الجديد . ولكن هنا فى عهد عمر رضى الله عنه سمعنا من يعصى بالسرقه ويتعلم بقضاء الله ، حيث تذكر بعض كتب الفرق (٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى له بسارق ، فقال له : لم سرق ؟ فقال : قضى الله على . فأمر به فقطعت يده ، ثم ضربه أسواطاً . فاعترض عليه البعض فى الحد ، حيث زاد فى حد السرقه الضرب بالسوط ، فقال عمر رضى الله عنه : القطع للسرقه ، والجلد لما كذب على الله .

هذه واقعة جديدة على المسلمين الأولين ، ولكن يظهر أنها لم تقع ممن أسلم على يدي رسول الله ﷺ ، وإنما وقعت من أخلاط الأمم ودخلائها على المسلمين الذين لم يتدبروا القرآن ، ولم تحتاط حلاونه بقلوبهم ، ولم تستر به نفوسهم . وقد يكونون من أصحاب دين قديم قد أثيرت حوله مثل هذه الشكوك فى القضاء والقدر ، والتعال به فى فعل المعاصى ، كما يفعله ضعفاء الإيمان فى زماننا ، أو الذين يجهلون حقيقة هذا الأمر . فإن أغلب الناس

(٢) المنية والامل لابن المرتضى ص ٨

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة

وهم الجمهور ، بل وبعض من يدعون العلم يظنون أن القضاء والقدر ملزمان لوقوع الأفعال من الناس ، وهو غير صحيح ، فإن من يعرف معنى القضاء والقدر كما عرفهما العلماء لا يخالط في الأمر ، ولا يتعلل بهما في فعل المعاصي .

فالقدر كما عرفه علماء الكلام ، خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء ، ، وأما القضاء ، فهو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، .

فالفرق بين القضاء والقدر ، أن القضاء في الأزل ، والقدر فيما لا يزال ، وأيضاً القضاء كما تقدم وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها .

ولقد رد القرآن الكريم رداً شافياً على من تعلل من المشركين بأن وقوع الشرك منهم بمشيئة الله قال تعالى : سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١) .

ثم قال تعالى في آية أخرى : وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٢) .

هاتان الآيتان قد تعلل بهما المشركون في فعل ما حرم الله ، وهناك آية أخرى تعلل بها المشركون في ترك ما أمر الله ، قال تعالى : وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم إلا في ضلال مبين (٣) .

إن هؤلاء المعاندين من المشركين ، والجملة من المعاصرين يخاطبون بين أمر معلوم لنا ، وأمر مجهول لنا ، أما الأمر المعلوم لنا فهو ما بينه الله سبحانه وتعالى عن الشرائع على لسان أنبيائه ، وهو الذي كلفنا سبحانه وتعالى بأداء ما أمرنا به ، وترك ما نهاانا عنه ، وأن من أدى ما أمر به ، وترك ما نهى عنه كان من أهل السعادة ، وأن من ترك ما أمر به ، وفعل ما نهى

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام . (٢) الآية ٣٥ من سورة النمل .

(٣) سورة يس الآية ٤٧

عنه كان من أهل الشقاوة ، وليس فيما كلفنا به سبحانه مشقة ولا عنت ، لا يكاف الله نفسا إلا وسعها ، . هذا هو الأمر المعلوم لنا ، والمسؤولون عن أدائه ، وأما الأمر المجهول لنا فهو قضاء الله أزلا ، وقدره فيما لا يزال ، ولا شك أن علمنا بما أمر الله به ونهى عنه سابق على علمنا بما قضى الله وقدر ، لأن الأول وهو أمر الله ونهيه علم قبل وقوع الفعل المخالف على لسان الرسل . وأما الثاني وهو القضاء والقدر فلم يعلم إلا بعد وقوع الفعل المنهى عنه ، أو ترك المأمور به ، لكن إذا كان الواقع في مخالفة الأمر والنهى من خصم الله بعلم من عنده حتى اطلع على اللوح المحفوظ ، وعرف ما قضى الله به عليه ثم نفذ المقضى به عليه فلا كلام لنا معه ، فإن مثل هذا له شأن آخر عند الله .

ومن هنا كان رد سيدنا عمر رضي الله عنه على من اعترض على ضرب السارق بأنه كذب على الله ، حيث إنه لم يعلم بالمقضى عليه من الله قبل وقوع فعل المخالفة ، وإنما الذي يعلمه أن فعل السرقة مخالفة لما نهى الله عنه ، وكذلك كان رد القرآن الكريم على المشركين الذين تعلموا لفعل المحرم بمشيئة الله ، حيث قال تعالى لهم في الآية الأولى : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ، أي تكذبون حيث لا يعلم بمشيئته إلا هو تبارك وتعالى ، وفي الآية الثانية رد عليهم بأن الرسل بلغوا بلاغا مبينا ، وهذا ما كلف الله به عباده ، فهو أعلمهم على لسان رسوله بالواجب عليهم ، فأليس لهم أن يتعلموا بالمجهول وهو المشيئة على ترك المعلوم وهو ما شرع الله . وفي الآية الثالثة سفهم بأنهم في ضلال مبين حيث يتركون المعلوم ، ويتعلقون بالمجهول وهو مشيئة الله التي لا علم لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها . وهكذا نرى في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه أن بدع من دخلوا في الإسلام على جهل أو على نفاق أخذوا يثيرون الشكوك حول عقيدة المسابن الناصدة البيضاء الخالصة من كل الشبهات ، وهكذا كلما تقدم بنا الزمن بعيدا عن النبع الأول للإسلام ، نرى الشبهات تتكاثر والخلافات تشتد والجدل يطغى ، وتصبح العقيدة الخالصة مخلوطة بتشويش المشوشين ، وشبهات المضللين ، ولكن من الخير أن ندرس شبههم ، ونعرف حيلهم ، حتى ننق العقيدة بما علمنا بها ، وندفع عنها ما أحاط بها . وفي مقال قال إن شاء الله نتحدث عن آثار فتنة سيدنا عثمان في الآراء ، والفرق التي حدثت في المسلمين ، وكان لها الأثر العظيم فيما وقع بين المؤمنين .

علي مصطفى الرمزي

المدرس في كلية أصول الدين

ذكريات تَهْرَمَسَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ

من بين الذكريات الخالدة على الزمن ، الباقية على مر الأجيال ، التي تهز مشاعر الإنسانية هزاً عميقاً متواصلاً ؛ ذكرى هذه الحرب المقدسة التي أعلنها محمد صلوات الله عليه على الفقر ، عدو البشرية للدود ، وخصمها الجبار ، الذي حارب الإنسان في حياته وسعادته وأمنه دون تردد أو إشفاق .

والفقر كثيراً ما يكون سببه توزيع الثروة بين الناس ، أو الجهل باستنباط الثروة واستغلالها ، أو جذب الأرض وقلة خيراتها .

ولقد نظر محمد ﷺ إلى مشكلة الفقر باهتمام شديد ، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذا المشككة بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول ، مع صدربة التغلب على الفقر في بيئته كبيئته الصحراء ، وفي مجتمع لا يعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء .

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف ، ولاستعباد الفقراء ، وتسخير الضعفاء ؛ فخارب محمد ﷺ هذه الفكرة الخاطئة ، وأعلن أن المال إنما هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ، وواسطة المنكوب وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وكسوة العاري وإسعاد الناس ، ووديعة الله في أيدي الأغنياء ، ومال الله استخفهم عليه ؛ وجعل من سنة الإنسان المهذب في الحياة الإيثار لا الأثرة ، والإعطاء لا الأخذ ، والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع والسخط والجحود .

وكان الأغنياء لا يعرفون في المال حقوق الله والفقراء والمساكين ، فطالبهم محمد ﷺ بما طالبهم به القرآن الكريم في قول الله تعالى : « ذَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لِّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ » ، ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتمتير ، فقال صلوات الله عليه : « إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّهُ أَدْلَكُ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » ، وقال الله تعالى : « وَمَنْ يَرْقُ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ » ، ومدح المؤمنين الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ،

وفرض حق الضيف وابن السبيل، وجعل صلى الله عليه وسلم البر واجبا، والإحسان فريضة، والصدقة شريعة اجتماعية، والزكاة أمراً محتوماً لمصلحة المجتمع كله. ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل أساسها الأسرة، وفرض على الرجل حقوقاً يؤديها من ماله لاسرته وأقاربه وأهله، وطالبه بأن يرعى أبناءه حق الرعاية، ويوفر لهم بمعملة وجدده وسائل الحياة الكريمة. وحث على القناعة والاقتصاد، فقال صلوات الله عليه: «طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كغافا وقع به»، وقال: «ما عال من اقتصد».

وشرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات، فدعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وحض عليها ونادى بها، و«سن» كذلك تشريعات العمل والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعمود الشركات والمضاربة وسواها، لكي تتداول الأيدي المال، ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصداً للربح والكسب الحلال، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، وقرر محمد صلى الله عليه وسلم حرمة المال فقال: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»، ودعا إلى اكتساب الأموال من طرقها المشروعة فقال: «من لم يُبَالِ من أين اكتسب المال لم يُبَالِ الله من أين أدخله النار»، وعمل على حفظ كرامة الفقراء بفضل صدقة السر، و«حض» على ترك المن والاذى، وكره السؤال وحرّمه عن غير حاجة، وجعل اليد العليا خيراً من اليد السفلى.. وحبس محمد صلى الله عليه وسلم الأموال - التي تؤخذ من النية، والخراج، والجزية، والغنائم والعشر والركاز وسواها - على مصالح الفقراء، والتمكين لهم في الحياة والمعيشة، وحرر رقيق الأرض من العبودية، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذي أسر في حرب مشروعة، وبالعمل على تحريره كاحرار العامل والخدام والمرأة من القيود والأغلال.

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بإخائه بين الأنصار والمهاجرين، وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء في أموال الأغنياء، وبدهوته إلى العمل وحضه عليه حتى يأخذ الفقير حظه الكامل في الحياة مع مرور الأيام، وبتقسيمه العادل لليراث بين أولى الأرحام وبغير ذلك من أسباب التمكين للفقير والمسكين والمحروم، ونهى عن كثر المال دون أداء حقوقه، وكره الاستكثار منه والتكالب على جمعه، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال: «القاء الله فقيراً ولا تلقه غنياً».

وحدث على الجود والبذل والسخاء ، وكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه على : أجود الناس كفا ، وكما وصف في حديث البخارى ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، وتقول عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا . . . ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء ، فقال : « إنما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برأت منهم ذمة الله تبارك وتعالى ، ونهى عن المحاباة فى كل شىء حتى فى اختيار الموظف ، فقال صلوات الله عليه : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله النار ، كما نهى عن الحيازة فى الأموال العامة فقال : « من استعملناه على عمل ورزقناه فما أخذ بعد ذلك فهو غلول ، أى خيانة به . »

ولقد حبب محمد صلى الله عليه وسلم الناس فى الكسب الحلال المشروع ، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات ، وقال لهم : أنتم أعلم بشئون دنياكم . . . وجعل بيت المال فى خدمة الناس والفقير ، من بينهم خاصة ، ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال وإنما كان يضعها فى بيته وبيوت أصحابه ، وكان الزبير بن العوام وجمهم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات ، ومعيقب بن أبى فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغنم ، وكان حذيفة ابن اليمان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمر تمر الحجاز . وكان يتخير ولاته وعماله ويقصد فى رزقهم ، فاستعمل عتاب بن أسيد الأموى والياً على مكة وجعل رزقه كل يوم درهماً ؛ وصالح صلوات الله عليه أهل فدىك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء . وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجذب الذى كان غالباً على جزيرة العرب .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم إلى اصطناع الأيادى عند الفقراء ، يقول : « أكثروا من معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الأيادى ، فإن لهم دولة ؛ قالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة ، وجعل الرسول الأكرم فى كل معروف وكل عمل صدقة فقال : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة ، وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله يحب إطاعة اللهم فان ، ؛ ورفع من منزلة الفقراء ولم يجعل المال أساساً للحكم على الأشخاص .

ولقد قرر محمد صلوات الله عليه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة ، وحارب الرق والاستعباد والاستغلال والفساد الاجتماعي الظالمة بين الناس ، ورفع من الفقراء والمستضعفين ذوى الكفاليات والمواهب حتى بلغوا أعلى المنازل في الدولة الإسلامية ، مما قلب الأوضاع في توزيع الثروات بين الناس وإنصاف الفقراء، وفتح باب الأمل الواسع على مصراعيه أمامهم يدخلونه بقوة وعزم وكرامة وتفاؤل بالحياة .

وهكذا كان محمد صلوات الله عليه الإنسانية في أروع صورها ، والمثل الأعلى في أجد مظهره ، والقائد المظفر الذى خاض معركة السلام وانتصر فيها ، والنور الأبدى الخالد الذى هدى الحياة وأخرجها من الخوف والقلق والفوضى ، إلى الأمن والهدوء والاستقرار . وكانت حياته كلها كفاحاً مجيداً في سبيل الله والحق والمعروف وتقرير حريات الفقراء وكراماتهم ، وكانت جهاداً صادقاً وجهته الخير وإسعاد الناس ، ومن أجل ذلك توج هذا الجهاد بالنصر ؛ وهزت ذكرياته مشاعر الناس والجماعات والشعوب في كل مكان وجيل ، ولا تزال هذه الذكريات حديث الدنيا ، ونشيد الحياة ، وفرقان البشرية الظالمة إلى نبع هذا الوحي المقدس والناموس الميمون الحكيم .

لقد استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخواناً متحابين متآخين متعاونين ، وأن يقيم في المجتمع الإسلامى اشتراكية عادلة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها أساساً من أسس الاقتصاد التوعاى الجماعى فى الدولة الإسلامية الناشئة ، واستطاع بما بذره من بذور الخير فى الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات ... وكانت ثورة محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف ، وكفالة حرته وحقه فى الحياة الهانئة الكريمة وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلماً وبهتاناً بأيدى الإقطاعية والإقطاعيين الجائرين .

ولا تزال هذه المبادئ الحية الكريمة ينطق بها كتاب الله وسنة رسوله ، ويقوم عليها تراثنا الروحى الخالد الذى يُعد مفاخر البشرية فى نهضتها وتوثيقها إلى الكرامة والحرية .

محمد عبد النعم مفاهى

المدرس فى كلية اللغة العربية

لُغَوِيَّاتٌ رُبِّيَّةٌ

البُذُورَةُ ، السُّطَلِيَّان ، عَامُّ بَرَّخ .

١ — يطلق أهل الحجاز في هذا العصر البُذُورَةَ على صغار الأولاد . وقد سمعت هذا من حجازي في القاهرة ، وحكى لي بعض الحاج أنه سمعه من أهل مكة حين حجج . وقد أثار فضولي هذا الحرف ومنزله من اللغة العربية .

ويلوح للباحث في بادي الأمر أن البذورة جمع البذُر ، وهو أوّل ما يخرج من الزرع والبقل والنبات . فشبهه صغار الذرية بهذا الذي ينجم من الزرع وينمو حتى يستوى ويؤتى أكله ؟ إذ كان الأولاد ينمون ويتنقلون من طور إلى طور حتى يستووا رجالا . والجمع الوارد للبذُر : بُذُورٌ وبِذَارٌ . وإلحاق التاء لصيغة الجمع كثير ؛ كالعُمومة والخُتولة والفحولة في جمع العمّ والحال والفعل ؛ وقالوا : الحجارة والبكارة والفحالة والمعظامة والجمالة في جمع الحجر والبكر والفعل والعظم والجل ، وهذا التأنيث الجمع كما يؤنث المفرد ؛ نحو القصعة والخُجرة والسُغرفة . وهذا التخريج فيه متنع ورضي لمن شاء .

وقد سنح لي تخرّيج آخر حين وقفت على النص الآتي في ذيل (١) الأمامي للقال : « يُدعى عليهم ، فيقال : قطع الله بُذَارَهم . والبُذارة من البذُر ، كأنه أراد النسل ، وفي اللسان (بذر) : « والبُذارة : الفسل ، . وذلك أن يكون البُذورة أصاها البُذارة فخوّلت إلى البذورة . وتحويل الفعالة إلى الفُعولة يجري في لسان العامة ؛ يقولون في السُعالة - وهي أجرة العامل - : السُعُولة . يقول أحدهم : إذا قت لي بكذا فلك سُعمولة كذا .

٢ — وذكرني هذا الحديث بحديث أفضى به إليّ بعض أصدقائي الذين أدوا فريضة الحج ، قال : مررت مع غلام حجازي على مجرّة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : منّا تُذبح الطليان . والطلّيان جمع الطليل ، وهو الصغير من أولاد الغنم .

وهذا المثال والذي قبله يحفزنا إلى دراسة اللغة الحالية للجزيرة العربية وتعرف ما تبقى فيها من الفصحى؛ فقد يكون في ذلك غناء كبير لدارسي اللغة. فعمسى أن ينشط لهذا بعض الجماعات فينفذوا على من يقوم بهذا الأمر ويضطلع به من العلماء.

٣ — ويحضرني في هذا المقام قصة نبأى بها صدبقي الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى. فقد كان في تونس - حماها الله ودفع عنها كيد الأعداء - في رحلة علمية، وضمه مجلس فيها، وكان قد لفت كلبة سمعها هناك، وهي (برخ) يقولونها في الكثير الموفور. يقولون: السكر برخ عندنا، فذكر هذه الكلمة ونجاري فيها مع الحاضرين، ورأى بعضهم أنها تمت بسبب إلى العبرية، وذكر هو أيضا أن في موطنه الأصلي ومسقط رأسه محلة أبو علي، من أعمال الزقازيق يقال: هذه سنة برخة للسنة يرجى فيها الخصب والخير. ولقد شعرت حين أورد لي الصديق الكريم هذه القصة أن للكلمة «برخ» صلة بمادة البركة في العربية، وعمادها كثرة الخير ووفرة ما يشتهى.

ولقد وجدت في اللغة مؤيدا للاستعمال السابق للكلمة «برخ»، و«برخة» في بلاد العرب، وفي قرية محلة أبو علي. ففي اللسان: يقال: كيف أسماهم؟ فيقال: برخ أي رخيص. والتبريح: التبريك، وفي القاموس: البرخ: النماء والزيادة، والرخيص من الأسمار (عمانية). وقيل: هي بالعبرانية أو السريانية. وقد آثرت في صدر المقال أن أورد العبارة «عام برخ» فأعدل عن «سنة» لما أن السنة توهم الجسد والازمة. وانظر قوله تعالى: «ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون». وانظر الروض الأنف ١/١٩٢

هندي، هندكي

النسبة إلى الهند هندي، وجمعه هنود، يقال: رجل هندي، ورجال هنود، كزنجي وزنوج، وقد ورد في النسبة إلى الهند هندكي، ويقال في جمعه الهنادك والهنادكة، قال أبو طالب في لاميته^(١).

بني أمية مجنونة هندكية بني جمح عبيد قيس بن عاقل

(١) انظر سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ١/١٧٨

وقال كثير عزة :

ومتربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك

فالهنادك : رجال الهند ، والطهاطم جمع الطاطم ، وهو الأعمى لا يفصح .

ويسترعى النظر هذان الوجهان من النسبة ، وبالحرى الوجه الثانى منهما ، وهو الذى فيه الكاف ، إذ كان هذا غير مألوف فى النسبة العربية ، بلى هو محدود فى الإضافة والنسبة فى اللغة التركية ، وإن كانت الكاف عندهم مكانها جيم . ولقد سرت هذه النسبة فى كلمات كثيرة فى لسان العامة . ومن هذا التمرجى لمن يقرم بأمر المريض ، وهو منسوب إلى تمر ، وهو النبض ، كما أخبرنى بذلك من يعلم هذا الشأن ، فهو الذى يقوم بحس النبض . ومنه الكفتجى . وهو نسبة إلى كفتن ، وهو فى اللغة الفارسية مصدر معناه تقطيع اللحم . وقد تضاف علامة النسبة هذه إلى كلم عربية ، قالوا : السفرجى فى النسبة إلى السفرة ، وقهوجى فى النسبة إلى القهوة . ومثل هذا كثير غنى عن الإيراد .

ويبدو أن هذا دخل فى لسان الناس الذين يتكلمون بالعربية من قديم ؛ ففى رسالة الغفران ذكر أبى الفرج الزهرجى ، وذلك إذ يقول أبو العلاء : « وأما أبو الفرج الزهرجى فعرفته بالشيخ تقسم أنه للأدب حليف ، وللطبع الخبير أليف ، وظاهر أنه منسوب إلى الزهر على اصطلاح الأتراك .

وقد كانت مسألة « هندكى » لغرابنها فى العربية موضع بحث عند لغوي العرب .

١ - فىرى ابن جنى أن الكاف فى هندكى ليست زائدة ؛ إذ ليس هذا من موضع زيادتها فى قانون الصرف . فهندكى نسبة إلى هندك لا إلى هند ، وإن لم ينطق بهندك . وهذا كما قالوا : تهام فى النسب إلى تهامة ، على نيّة النسب إلى تهّم أو تهّم وإن لم ينطق بهما . وعلى هذا فهند وهندك - وإن كان هذا الأخير لا يظهر إلا فى النسب - من مادتين مختلفتين لا من مادة واحدة ؛ إذ كانت الأولى ثلاثية ، والثانية رباعية . وإذا كان معناهما واحداً كان هذا من تداخل الثلاثى والرباعى ، كدمث ودمثر ، وسبط وسبطر . وقد عده ابن جنى لهذا باباً فى الخصائص . وإنى أسوق إليك كلام ابن جنى فى سر الصناعة (حرف الكاف) :
فأما قول كثير .

ومقربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك

فقال محمد بن حبيب : أراد بالهندك رجال الهند ، فظاهر هذا القول يقتضى أن تكون الكاف زائدة . ولو قيل : إن الكاف أصل ، وإن هندی وهندكى أصلان بمنزلة سبط وسبتر لكان قولاً قوياً ، وهو الصواب . ويقول ^(١) أبو حيان بعد أن أورد بيت كثير : ونفرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت في زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه ؛ وإنما هو من باب سبط وسبتر .

٢ - ويرى ^(١) أبو حيان أن هذه العلامة اللاحقة (كى) علامة النسب ، وأنها سرت إلى العرب من لسان الحبش ، وقد كان قسماً بهذا اللسان وصنف فيه . وهاك مقالة هذا الخبر الضليع : « والذى أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب إن كان تكلم به فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض . والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب إليه كافاً مكسورة مشوبة بعدها ياء . يقولون في النسب إلى قند : قندكى ، وإلى شواء : شواءكى ، وإلى الفرس : الفرسكى . وربما أبدلت الكاف تاء مكسورة ؛ قالوا في النسب إلى جبر : جبرتى . وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة ، المسمى بجلاء الغابش عن لسان الحبش . وكثيراً ما تتوافق اللغتان لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ وفي قواعد من التركيب نحوية ؛ كحروف المصارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية . »

وإننا لنحمد لأبي حيان - وهو من جلة النحاة واللغويين ، وكانت وفاته سنة ٧٤٥ هـ - عنايته بغير لغة العرب ، ونزوعه إلى موازنة اللغات . فقد رأيت أن له تأليفاً في اللغة الحبشية ، وفي ثبت كتبه : « منطق الخرس في لسان الفرس ، و « الإدراك لسان الأتراك » . وهذه النزعة قليلة في علماء العربية ، وإنما استولت على العلماء الغربيين في العصر الحديث ، وكان لهذا أجل الآثار وأعظم الجدوى . وما زال الشرقيون متخلفين عنهم في هذا المضمار ، ولو نهجوا نهجهم لكان لهم من الآثار ما يفوق آثار أولئك الغربيين .

على أن ما ذكره أبو حيان عن لغة الحبش من النسبة بالمقطع (كى) لا يعرف الآن على ما أخبرني به من أطلع على المکتب المصنفة في هذا اللسان ؛ وكذلك النسبة بالتاء .

والمعروف أن الجبرتي منسوب إلى الجبرت . وفي مستدرك التاج : « وبقى هنا على المؤلف « جبرت ، ، وهو بلد الحبش . وينسب إليه أقوام من العلماء ، ولكن أبا حيان غير ظنين فيما يروى وينقل ، وإن كان المعروف عن هذه العلامة (كي) أو (جي) أنها من سمات النسبة عند الأتراك .

هذا ، وإبدال الياء جيما معروف في العربية ، في النسب وفي غير النسب . وذلك لما بين الحرفين من تقارب المخرج ؛ إذ كانا من وسط اللسان . ويقول أبو عمرو بن العلاء (١) : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج . فقلت : من أيهم ؟ قال : مرج . أراد : فقيمي ، ومرى . و« فقيم قبيلة من العرب ، وكذلك مرة . وقال هميان بن قحافة أحد الرجاز في وصف الإبل :

تسير بالأيدي عجاجا راجحا يطير عنها الوبر الصهاجحا

العجاج : الغبار ، والصهاجح أراد : الصماني من الصهبة وهي من الألوان .

ومن هذا ما يعرف بجمعجة قضاة ، يحولون الياء جيما مع العين ، يقولون : هذا راعج ، خرج معج ، يريدون : هذا راعي خرج معي . ومن هذا الرجز المشهور :

خالي لقيط وأبو تخيط
المطبخ اللحم بالعشج

يريد : أبو علي ، وبالعشى . ويقول ابن السكيت : بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما ، ويقول أبو عبيد السكري في اللآلي : وبنو تميم يجعلون ياء النسب جيما . ويبدو لي أن بعض العرب نسب إلى الهند على هذه اللهجة فقال : هندج ، بإبدال الياء جيما ، ثم توهم من جاء بعد أن الجيم من سنخ الكلمة ، فألحقها ياء النسب ، فقال : هندجي . وأبدلت الجيم كافا ؛ لما بينهما من تقارب ، وقد قالوا (٢) : مريرج ويرتك إذا ترجرج ، وأخذه شك في بطنه وسج : إذا لان بطنه ، وريح سهوك وسهوج : شديدة .

محمد علي العجمار

الاستاذ بكلية اللغة العربية

العِلِّيَّةُ فِي فِلْسَفَةِ هَيْوَمَ

يقوم مذنب هيوم على الوجدان الخالص ، فالمعرفة عنده مجموعة إدراكات . ونداعى المعانى ، هو القانون الذى ينشئ العلاقات بين المدركات بالتشابه أو بالتقارن فى الزمان والمكان أو بالعلة . وعلاقة العلية ذات قيمة كبيرة فى العلوم الطبيعية .

ولكن ما مقدار معرفتنا للعلة ؟ أليست هى الحادثة السابقة التى نشاهدها قبل حدوث معلولها ؟ ثم ، أليس من الضرورى أن نشاهد الحادتين معا حتى نحكم بأن إحداها علة والأخرى معلول ؟

الواقع أن هيوم ينكر العلية سواء أقلنا عنها إنها موجودة كامنة فى الأشياء المادية أو النفسانية أو قلنا إنها رابطة ضرورية بين الأشياء أو المظاهر النفسية . فكل ما هنالك — على حد تعبيره — هى حوادث مفسكة متفرقة بلى بعضها بعضا ، لا نلاحظ بينها أى رباط أو أى عقدة وإن ظهرت لنا متجاورة كما يتصور علوم راسدى

هذا هو الموقف السلبي القاسى الذى وقفه هيوم من العلية . قد يكون من المفيد فى سبيل فهمه أن نعرف ما قاله الفيلسوف مالبرانش قبله وما قاله الفيلسوف كانت بعده . فما هو موقف مالبرانش من العلية ؟ إن ذلك القسيس المتبتل لم يشأ إلا أن يدخل الله فى كل شئ ، كما كان التراجيليون اليونان يفعلون حين يضعون الله فى المواقف التى تخرج عليهم . فالله عند مالبرانش هو علة معرفة الأجسام وعلة لمعرفة النفس .

فهذه الأجسام التى نراها بما لها من صفات أولية أو ثانوية ، أو بعبارة أخرى هذا الامتداد ومظاهره ، لا ترتبط أحواله بعضها ببعض ارتباطا ضروريا . وهذه النفس ومكوناتها والجسم المتصل بها ومكوناته ليس فهما ما يحملنا على أن نعتقد أن الأول علة للحالات الثانى ولا أن الثانى علة لأحوال الأول ، ويؤيدنا فى ذلك مبدأ التمييز الديكارتي الذى يقول إنه ليست هناك علة بالمعنى الصحيح لا فى الجسم ولا فى النفس ولا فى صلة النفس بالجسم ، فالذى يوجد إذن هو تتابع ليس إلا لأحوال الجسم وأحوال النفس ، وليس ارتباطا ضروريا بحال

من الأحوال . الله هو العلة الوحيدة لأن القوة صفة قدسية لا يمكن أن تحمل إلا على الله سبحانه وتعالى ، فهي صفة الخالق ذاته في طبيعته تخالق ، وليس هناك موجود إلا الله سبحانه وتعالى نرى بينه وبين معلوله ارتباطاً ضرورياً ، فمن المستحيل كما يقول مالبرانش أن تؤثر الموجودات المخلوقة بعضها في بعض ، سواء أكانت مادية أم روحية .

ولكن ما هي هلة حركة جسم معين ؟ يجيبنا مالبرانش بنظريته الجديدة في العلة وهي نظرية العلة المناسبة فيقول إنه عليه الصحيحة الفعالة هي إرادة الله الخلق وحفظه في مكان معين بالنسبة إلى أجسام أخرى أو حفظه في عدة أمكنة مختلفة بالنسبة لأجسام ثابتة ، وأن هلته المناسبة هي حركة الأجسام الأخرى التي تتقابل معه ، وقرلنا في كلتا الحالتين صحيح بشرط أن ندرك تماماً أن علة الله الفعالة وعلة الجسم المناسبة تسيران وفق قوانين ثابتة رسمها الله ، قوانين بها يوفق الله بين عمل الجسم غير الفعال وعمله الفعال .

هذا هو حل مالبرانش لمشكلة العلية ، حل يشبه إلى حد كبير ما أورده هيوم في كتابه المسمى Inquiry وإن اختلفت النتيجة المستخلصة عند هذا الأخير عنها عند الأول . فهيوم وإن اعترف بأن مالبرانش قد وصل بتقديره إلى أسنى درجة ، إلا أنه ينسكرك عليه بعد ذلك ولوغه في عالم خرافي لا يمكن أن يستخلص منه شيء مؤكد ، وبظهر هذا من تسليمه بالقوى التي انتزعها من الأجسام والأشياء الإنسانية ، فهو حين سلم بها ، سلم بها في كائن أسنى هو مصدر القوى الظاهرة سواء في الأجسام أو في النفس . وهذا عيب في نظر هيوم يظهره بوضوح في إحدى نصوص كتابه ، حين يقول : إن جميع الحوادث تبدو مفككة متفرقة ، لحادث يلي حادثاً آخر ، ولكننا لا نلاحظ أبداً أى رباط أو أى عقدة بين هذه الحوادث فهي تظهر متجاورة ولكنها ليست أبداً مرتبطة ، وبما أنه لا يمكن أن يكون لدينا معنى عن شيء لم يظهر أبداً لا للحس الخارجى ولا للشعور الباطنى ، فالنتيجة اللازمة لذلك أنه ليس لدينا أى معنى عن الرابطة أو عن القوة وأن هذه الألفاظ لا معنى لها على الإطلاق كلما استعملت في الحجج الفلسفية أو في الحياة الجارية .

من هذا النص تبين لنا النتيجة القاسية التي يقف عندها هيوم ، وهي إنكار العلية إنكاراً

مطلقاً ، ولكن الواقع غير هذا ، فهيوم لا يصل إلى هذا الحد من الإنكار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا يريد أن يقع فيما وقع فيه مالبرانش ، فكيف إذن يفسر موقفه ؟

سيعرف الجواب بعد ذكر بعض الأمثلة . إذ رأينا حادثة معينة نتجت عنها حادثة أخرى ، فهل نحكم من أول مرة أن الحادثة الأولى علة والآخرى معلول ؟ إننا مهما أوتينا من سرعة الحاطر ودقة الانتباه فإن نستطيع ذلك ، ولكن إذا ما تجدد الحادث الأول ونشأ عنه دائماً الحادث الآخر فإنه يمكننا أن نسمى الحادث الأول علة والثاني معلولاً . فاستأجنا للعلم والمعلول يأتي بعد تتابع الحادث الأول والتتابع الذي لزمه به الحادث الثاني ، لأننا إذا نظرنا إلى الحوادث ذاتها من الناحية الموضوعية لما وجدنا فارقا البتة بين الحالة الأولى والأحوال الأخرى ، فككرة البلياردو مثلا لا تكاد تمس كرة أخرى حتى تبدأ الأخيرة في الحركة وهذا هو ما يحدث بعينه في كل مرة لا أزيد ولا أقل ، هذا من الناحية الموضوعية ، ولكن الأمر سيتغير لو نظرنا إلى نفوسنا وما يمتريها من أثر هذه الحوادث . ويذكر هيوم في ذلك نصاً يقول فيه : « الحالة الأولى التي رأينا فيها حركة ناتجة من احتكاك كرتي البلياردو مشابهة تماما لاية حالة يمكن أن تقع لنا مرة أخرى إلا في أننا كنا عاجزين في الحالة الأولى أن نستنتج حادثاً من حادث آخر ، الأمر الذي أصبحنا قادرين عليه بعد مرحلة طويلة لتجربة ثابتة ، فليس لدينا أي معنى عن القوة ، أو أي معنى عن الرابطة الضرورية ، أو أي معنى عن علمية موضوعية ، وكل ما هنالك هو تغير النظر بعد تكرار الحوادث وفعل هذا التكرار في نفوسنا .

فصدر العلمية إذن ، مصدر نفساني ، وفي هذا يقول هيوم : « ليس هناك بين حالة واحدة وعدة حالات من المفروض أنها جميعاً متشابهة ، أي فارق ، إلا في أن العقل بعد التكرار يتوقع حين ظهور حادث معين ، وبفعل العادة فقط ، قرينه الممتد . فالرابطة التي نحس أو نشعر بها رابطة عقلية ، والانتقال التمودي للخيالة من موضوع إلى قرينه الممتد ، هو الشعور أو الإحساس الذي نشق منه معنى القوة أو الرابطة الضرورية ، ففكرة العلمية ، مصدرها نفساني داخلي هو الإيمان بالنوع ، ومن ذلك نستطيع أن نصل

إلى تعريف العلة عند هيوم وهو ، العلة شيء يتبعه شيء آخر وظهوره ينتقل بالعقل إلى هذا الشيء الآخر .

ليس لمعنى العلة إذن أى أساس للظواهر فى ذاتها أو فى طبيعتها ، فكل ما فى العقل حين يفكر فى مشكلة العلية هو ما ذكره وما ذكره فقط من حدوث ظاهرة أخرى وتوقع الظاهرة الثانية بعد تكرار الأولى ، ففكرة السببية إذن ذاتية محضنة وهى خدعة من الخيال الذى يميل إلى فرض رابطة بين الأشياء ، والحوادث ليس لها وجود إلا فى العقل الذى يدركها ، ومن هذه الفكرة توصل هيوم إلى القول بأن للعالم الخارجى وهم باطل ، ونزل بموله على العالم المادى ، فليس فى الكون إلا أفكار ندرتها ومن الخطأ أن نفرض وجود ما لا نعلم ، وعلى كل حال فهذا مبحث آخر خارج عن موضوعنا .

هذا هو نقد دافيد هيوم للعلية ، إذا نحن قارناه بنقد كانت ، رأينا الأخير يفرض تاليا بين الظواهر وليس فقط بين تأثيرات الشخصية بهذه الظواهر ، وأن التابع فى ظهور الشخصية ليس له أى قيمة موضوعية ، ما لم يكن هناك تنال بين الظواهر ، وهذا معناه أن الظواهر تسير على قاعدة أساسية هى ، أن حادثا ما يلى آخر ، وأن الحادث الثانى لا يمكن أن يسبق فى الزمن الحادث الأول أو بمباراة أخرى لا يمكن أن يرجع التالى إلى الوارد قبل المقدم ، فبدأ العلية عند هيوم — على حد قول كانت — إنما هو تعبير آخر عن القاعدة الأساسية للتفكير التى تعين الزمن كنظام موضوعى بين الحوادث (كقبل وبعد) ، وأن هذا النظام ليس نتيجة لأفعال مخيلتنا ولتداعى الأفكار فيها ، كما تصور هيوم ، بل إن حوادث الخيلة والتميز بين (قبل وبعد) مبنى على القاعدة التى تسلم بضرورة هذا التميز ، أى أن أولية العلية ما هى إلا تعبير آخر عن تعيين الفكر لخاصيات الزمن أو هو عبارة عن رفع طبيعة الزمن إلى مرتبة يمكنه فيها أن يكون أساسا للنظام الداخلى .

وبعد ، فهذا مقال فى نقد العلية عند فيلسوف الإنجليز دافيد هيوم ، لا أحب أن أوضحه أكثر من هذا ، فأنى أخشى ما أخشيه هيوم من قبل : ، إذا ما أظهرته فى أنوار مختلفة أن يصبح أكثر غموضا وأكثر تعقيدا .

الرئيس يزور الأزهر

أقام سكان حي الأزهر وأصحاب المتاجر في شارعهم العظيم معالم الزينات احتفالاً بالرئيس المصلح اللواء محمد نجيب في زيارته للأزهر يوم ٧ ربيع الأول ١٣٧٢ (٢٥ نوفمبر) وفي منتصف الساعة الحادية عشرة وصل الرئيس فاستقبله فضيلة الاستاذ الأكبر وكبار العلماء وجلسوا حول منصة أقيمت في صدر الفناء الكبير الذي يقع في مبنى الأزهر الجديد أمام كلية الشريعة وقاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر ، وقد ركبت إلى جوانبها مكبرات للصوت . وبعد ابتداء الحفل بأى الذكر الحكيم وقف فضيلة الاستاذ الأكبر وخطب قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين .

وبعد وقد تفضل الرئيس اللواء محمد نجيب بزيارة أهل العلم وطلابه ، وهم الذين يرجى أن يكون المستقبل بهم مشرقاً زاهراً ، وإننا إذ نشكره اليوم فإنما نشكره شكر الأرض الكريمة إلى الغيث النافع ، ونؤكد بهذه الزيارة ما عرفناه فيه من عنايته بدين الإسلام ، وتصريحه بأنه دين النظام . وتحضرنى في هذه المناسبة قصة موجزة : تلك أن القاضى أبابوسف كان جالساً ذات يوم إلى جانب الرشيد ، فدخل يهودى ورفع قضية على الخليفة ، فقام القاضى أبو يوسف من مكانه وقال لليهودى : اجلس إلى جانب خصمك ، وجلس أمامهما وحكم لليهودى على الخليفة ، ثم قال القاضى : إنى لازلست أستغفر الله من أن خطر بنفسى أن يكون الحق مع الخليفة . وإنى أعود فأشكر للرئيس هذه الزيارة الكريمة ، وأدعوه ولرجال الجيش البواسل ، وأسأل الله له ولهم النوفيق والسداد .

ولما جلس فضيلة الاستاذ الأكبر وقف مندوب الطلبة الأزهريين وألقى كلمة حيا فيها الرئيس باسم الطلاب وختمها بقوله : « إن هذا اليوم ليوم تاريخى عظيم يسجله الأزهريون بمزيد من الفخار والزهو » .

وهلى أثر ذلك قام الرئيس اللواء وألقى كلمة قال فيها :

يا أبناء الأزهر ،

السلام عليكم ورحمة الله .

جئت اليوم لتحية الأزهر ، وأنتم أبناؤه وحملته رسالته وحماة تقاليده ، فأنتم بهذا حملة رسالة الإسلام ، وقادة الأمة إلى الخير ، ومنافذ رحمة الله للعالمين .

وإن الأزهر ملاذ اللغة العربية ، ومعاد الشريعة الإسلامية ، وواجب كل عرب أن يصون الأزهر ليصون به لغة القرآن . وواجب كل مسلم أن يرفع رايته لترتفع به راية الإسلام .

ولقد كان الأزهر وما زال هو الجامعة الإسلامية العظيمة ، تهفو إليه أرواح المسلمين في كل موطن ، وتنطلق إليه آمالهم من كل مكان ثم يفتنون إليه من كل قطر من أقطاره ، ويفتخرون من مناهل معارفه وعلومه ، ليرجعوا بعد ذلك إلى بلادهم وأهلهم كما قال الله سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

ولقد وقف الناس أمام الأزهر طائفتين : طائفة ترى فيه موطن أمل ، وموضع رجاء ، فهي تحرص عليه وتعيه على بلوغ غايته . وطائفة أخرى ترى فيه حصناً منيعاً دون غاياتها الاستعمارية ، فهي تسكيد له حتى تصرفه عن الهدف السامي الذي أرادته الله له . ولكن الأزهر بفضل الله ، وجهود أبنائه ، وغيره الغيورين من أبناء الوطن العزيز ، سيصل إلى غايته من نشر رسالة الإسلام ، وجمع شمل المسلمين ، وحملهم على أن يتعارفوا ويتآلفوا ويتناصروا حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولاني ، وأنا أحيي الأزهر الشريف ، لا أحييه تحية الغريب للغريب . فإن الحركة المخلصة التي قام بها الجيش ، ليست إلا معنى من معاني الإصلاح الذي ينشده الإسلام ، والإسلام دين الحرية ودين العدل ، والأزهر هو القائم برسالة الإسلام ، والحفيظ على هذه الرسالة في نفوس المسلمين . ولذلك أشعر وأنا أحيي الأزهر أنني فرد من أفراد الأزهريين ، لأنني فرد من أفراد المسلمين .

إن الإسلام يحب الحرية ويقدسها ، ويكره الذين يختارون الضد والعبودية ، وأنتم أعلم بقول الله في كتابه العزيز (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا

كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسمة فتهاجروا فيها فأولئك مأوام جهنم وسامت مصيرا) .

إن الإسلام يحب العدل ويحرص عليه ويأمر به (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

ولقد اكتبونا واكتوت مصر معنا بنار العبودية ونار الظلم ، وكان الملك السابق يكاد يدعى أنه الإله من دون الله ، واستباح لنفسه ما حرمة شرائع السماء المقدسة ، فبغى وظلم وانتكح الحرمات وسفك الدماء في استهتار بالغ بإرادة الشعب ، وخروج آثم على أوامر الله ، ولم يكن بد من أن يوقف الشعب ، ممثلا في جيشه ، هذا الطغيان ، فقام بحركته التي يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون ، وتوידها مبادئ الإسلام الذي يرفع الأزهر رايته ويؤدى رسالته .

والآن وقد ذهب الطاغية إلى غير رجعة ، وتخلصت الامة من الكابوس الذي كان يحتم على صدرها ، ويكاد يحبس أنفاسها ، تتجه إلى الله جل جلالته أن يوفقنا جميعاً إلى ما يعلى راية الخير ويثبت دعائم الحق ويأخذ بيد أمتنا إلى الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والاستقرار السعيد العزيز .

مراتحقيقا كميوتير علوم رمدى

وأن أمامنا سبلا كثيرة للإصلاح وتوفير أسباب الحياة الماجدة للشعب الكريم ، وإننا لوائفون أننا وأبناء الوطن العزيز بد واحدة ، وإننا بفضل توجيه الأزهر للأمة وإرشاده إياها ، سنستعين بالصبر على عزائم الأمور ، وسنكون كما يوجه القرآن الكريم (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وكانت هذه الكلمة الجامعة تقابل في كثير من مواضعها بالهناف المدوى والتصفيق الشديد.

ثم نهض فضيلة الأستاذ الشيخ سليمان نوار شيخ كلية اللغة العربية والتي كلية جامعة حيا فيها الرئيس وبارك عهده الميمون وقال : إن علماء الأزهر على بكرة أبيهم يتساندون في نصره هذا العهد لأنه عهد الحرية والكرامة والنور والعرفان .

وعلى أثر ذلك وقف الرئيس ، فتعالى هتاف الطلاب واشتد تصفيقهم ، حيا العلماء والطلاب ، واستقل سيارته وانصرف بين مظاهر التكريم والإجلال .

مَمْلَكَةُ تَقْلِي

- ٢ -

قدمنا في الجزء الماضي من هذه المجلة لمملكة تقلى ، بعرض جغرافي وتاريخي عام لهذه المملكة الإسلامية . والآن نواصل الحديث عنها مبتدئين بذكر تاريخ تقلى ، قبل أن ينشأ البيت المالک فيها .

يقطن تقلى اليوم شعب مكون من خليط من قبائل كثيرة ، ومزيج من الدماء المختلفة . ويرجع ذلك إلى هجرة الكثيرين إليها ، بعد أن تأسس فيها البيت المالک ، واستقر هؤلاء المهاجرون بتقلى . وتتضح آثار هذه الدماء المختلفة ، في شعب تقلى اليوم .

ومنذ أربعمئة عام ، كان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، عنصراً جنسياً واحداً ، يحيا حياة منعزلة في ثلاث مناطق هي (١) ترمى Tirmi في أم طلحة ، (٢) جبال الكجاجة ، (٣) تقلى نفسها .

مراتحقيقا كالمبتور علوم رمدى

وكان هؤلاء القوم وثنيين ، يحيون حياة بسيطة بدائية ، تحت سلطة زعمائهم الوراثةيين ، الذين اتخذوا « تيجال آرو » ، Tegal'arro قاعدة لهم ، وهي تقع قريبة من قرية « الهوى » الحالية . وكان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، يعرفون باسم « الهمج » . وسلالة هؤلاء السكان ، موجودة اليوم ، في جبال الكجاجة ، نقيية من الدم الغريب . ولقد انقرض هذا العنصر ، لدرجة كبيرة ، في سائر جهات تقلى الأخرى ، إلا أن دماءهم تسربت إلى معظم سكان هذه الجبال الشمالية الشرقية .

وسكان الكجاجة يعتقدون الإسلام ، ومن المحتمل أن يكونوا قد أسلموا منذ ثلاثمئة عام ، إلا أنهم ما زالوا يمارسون كثيراً من عاداتهم القديمة ، وإن تكن القرون قد غيرت قليلاً من مظاهر حياتهم . وزراعاتهم قليلة ، أهمها القمح ، يزرعونه في جبالهم ، التي قلما يخاطرون بالابتعاد عنها . ويتكلم قليل من سكان الكجاجة ، العربية ، بينما نرى أن سكان تقلى ، جميعهم يتكلمون العربية .

وقد عفت الأيام على لغتهم الاصلية تماماً ، وقل أن تجد اليوم متحدثاً بها . وكان الجندي ، يسيطر على قبائل الكجاجة ، وهو وارث سلطات رؤساء القبائل . ولما تأسس البيت المالك الجملي ، ظل هذا الجندي يشغل منصبه في عهدهم . وإذا استقينا الديانة والملبس ، فإننا نجد أن سكان الكجاجة اليوم ، في حياتهم وعاداتهم ، يشابهون أولئك الذين عمروا الجبال الشمالية الشرقية منذ أربعمائة عام . ولقد وجدهم هناك ذلك الرجل الجملي الفقير ، الذي أسس البيت المالك ، ونسل منه ملوك تقلى . ورواية نسب هؤلاء السكان مشوشة مضطربة ، وإن كانت ذريتهم تعترف بهذه النسبة ، وتحفظ بها ، في أغانيها وقصصها . ويمكن أن نتبع آثارهم في خرائب منازلهم في « تيجال آرو » ، و« ترمي » ، حيث نجد الحصون التي أقاموها لصد المهاجمين . ونستنتج من ذلك ، أنهم لم يكونوا قوماً مسلمين ، كما هم الآن . وكان سلاحهم القذف بالحجارة ، والرمي بالسكاكين والحرايب ، من خلف هذه الاسوار التي أقاموها .

ويجمل بنا أن نقف قليلاً ، لنعرف من هم هؤلاء الغزاة ، الذين بنيت هذه الحصون لردهم . كان هناك خوف ، في ذلك الوقت ، من غزاة يأتون من الشمال أو الشرق ، لأن سكان الجبال ، كانوا دائماً متناحرين . وتذكر الرواية أن سكان الجبال الشمالية الشرقية ، كانوا متحدنين تحت زعامة واحدة . ولكن الأرجح أن كل جماعة منهم كانت تحمي حياتها الخاصة تحت زعامة رئيس محلي . وذلك يفسر لنا نشوب العداوات بينهم . وتنسب الرواية لهؤلاء الرؤساء المحليين سلطنة واسمة . وفي « تيجال آرو » ، تكوّن بيت تقلى القوي ، الذي نشر نفوذه فيما بعد .

ومعرفتنا بأصل هؤلاء القوم محدودة . وبين سكان الكجاجة و« الكوالب » ، اليوم عداوات وإحن تفسر لنا شيئاً من تاريخهم القديم . وبين الجماعتين كثير من التناقض ، مردّه إلى اعتناق سكان الكجاجة الإسلام منذ أمد بعيد ، بينما الكوالب وثنيون حتى اليوم . ويمثل سكان « تاكام Takam » ، و« تورجوك Turjok » ، و« تاجوي Tagoi » ، حلقة متوسطة بين الجماعتين السالفتين ، لأنهم اعتنقوا الإسلام حديثاً . ويقال إن هؤلاء السكان ، الحديثي الإسلام ، يرجعون هم والنوباويون في الجنوب إلى أصل واحد . وعلى كل حال فهذه أمور لا زالت تحتاج إلى مزيد من العناية والبحث . غير أن الشيء

الذى نستطيع أن نؤكدده ، هو أنه كان يعيش فى تقلى ، فى بداية القرن السادس عشر ، قوم بدائيون وثنيون ، وقد كانوا متشابهين فى كثير من الوجوه مع سكان النوبيا ، وهم يختلفون الآن فيما بينهم اختلافاً كبيراً ، نتيجة للهجرات التى نددت إلى بلادهم ، بعد أن بدأ عهد الملوك . ونحن لا نعرف هل كان لهذه الجماعات اتصال بالدارم الخارجى أم لا . وبين هؤلاء الناس ، وفى هذا التاريخ ، بدأت مملكة تقلى بدءاً متواضعاً بسيطاً .

وفىما يخص بنشأة البيت المالك فى تقلى ، تقص علينا الرواية ، أن شخصاً يدعى محمد الجملى^(١) ، قدم إلى تقلى من الشمال ، حوالى عام ١٥٣٠ م . وأسس فيها البيت المالك ، الذى حكم تقلى . ويحتمل أن يكون محمد الجملى هذا ، واحداً من الوعاظ الذين كانوا ينتشرون فى الأرض ، ليذمروا العقيدة الإسلامية ، مع موجة الفتح الإسلامى ، التى أعقبت تأسيس مملكة سنار عام ١٥٠٤ م ، ويحتمل كذلك أن يكون هذا الجملى طريد قبيلته النهرية ، أو مجرد سائح مغامر ، يبنى المخاطرة . وكل ما نعرفه عن ذلك الرجل ، أنه كان فقيراً ، تملئ جوانحه بالشفقة والرحمة .

وانقد وفد ذلك الرجل إلى تقلى ، وبصحبه رفيق له يدعى « أبو هياما Abu Hayama » ووصل الرجلان فى تجوالهما ، إلى التلال الصغيرة ، التى اعتصمت بها الرئاسة الوثنية فى « تيجال آرو » ، ويوجد فى هذه التلال الآن قرى « الهوى » و « كيريا » . ولما التقى رجال الجبال ، بالرجلين الوافدين ، قادوهما إلى زعيمهم كابر - كابر Kabr- Kabr ، فقدموا له فروض الطاعة والصدقة ، ولما رقى الزعيم لخالهما ، عامهما بمنتهى التسكريم ، فهدأ لذلك بالهما ، وقر قرارهما على الاستيطان فى مهجرهم ذلك الجديد ، وعزما على التعريف بالإسلام بين هذه الجماعات الوثنية ، وأخذوا يعلمهم الصلاة ، وأصول العقيدة . ووضع ، منذ البداية ، أن الرجلين قد نجحا فى مهمتهما .

وانتشرت الديانة الجديدة سريعاً بين الناس ، وتماسكت قلوبهم ، وتوطد بذلك مركز محمد الجملى ، بين هذه الجماعات ، وكانت شفقتة ورحمته وسلوكه اللامع ، مما جعله يحتل مكاناً محترماً ، ومركزاً فريداً بينهم ، وأضحى الرجل وله تأثير روحى كبير عليهم .

(١) يقال إنه من قبيلة الجرعية إحدى قبائل الجميلين .

ونزوج د محمد الجملي ، من ابنة د كابر - كابر ، المذكور ، وولد له منها ولد يدعى د أبو جريدة ، ولما بلغ أشده ، ورث عن أبيه خلقه الكريم ، وساعد أباه ، في نشر الدعوة الإسلامية ، في المناطق المجاورة . ولما مات د كابر - كابر ، اختار كبراء المجتمع حفيده د أبا جريدة ، رئيساً عليهم ، وهو بعد حديث السن ، ودعوه في نفس الوقت د جيلي Geili ، ^(١) وعلى هذا فنحن نرى أنه حوالي عام ١٥٦٠ م تأسس البيت المالك في تغلي في شخص د جيلي أبو جريدة ، ومنذ ذلك الوقت ، وذريته من بعده ، تحكم البلاد حكماً متصلاً لم يقطعه شيء . ولا شك أن قوة هؤلاء الملوك وشهرتهم التي أحرزوها ، ترجع إلى طول ما حكموا ، وإلى طول ما كالجوا في سبيل نشر الإسلام . وعندما تولى د جيلي أبو جريدة ، الإمارة ، لم تكن مملكته تتكون إلا من تلال تغلي نفسها ، وربما الكجا كجة أيضاً ، أي المناطق التي كانت خاضعة لجده (كابر - كابر) .

ولقد كان لجيلي أبي جريدة ، شخصية قوية أهله - رغم أنه أجنبي - لكي يتربع على كرسي زعيمهم القديم . ومما يذكر بالخبر لجيلي ، أنه هو الذي أكمل تحويل تغلي إلى الإسلام ، وهو العمل الذي بدأه والده . كما أنه حقق أطباعه ، فيما وراء المناطق المجاورة ، ونشر فيها الإسلام . وعمل كذلك على تقوية نفوذه الشخصي ، بجلب الجماعات من الشمال والشرق ، وتوطينهم في مملكته . وشعر هؤلاء المهاجرون ، أن حياتهم وكيانهم ، مرتبطان بهذا البيت الجديد فأزروه مخلصين . وبني جيلي مسجداً لا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، كما بنى حوشاً له في الهوى ، التي تبعد عن تيجال آرو ، بمقدار نصف ميل إلى الشمال . وترك جيلي بعد وفاته مملكة راسخة القواعد ، قوية البنيان ، وإليه يعزى الفضل الأكبر ، فيما أحرزته ذريته من بعده من قوة وسلطان . ودفن جيلي بحوشه الذي ابتناه لنفسه بالهوى . ويمكن الآن تتبع آثار هذا الحوش . وانتهى حكم جيلي عام ١٥٨٥ م .

وإلى مقال قادم ، نتابع فيه التاريخ لهذه المملكة ، ذات التاريخ المشرق ، في نشر الإسلام في السوادن الشمالي .

عبد المنعم محمد الشيخ

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

(١) جيل معناها بالنوبارية الأحمر ، وكانوا يلقبونه بذلك إشارة إلى أنه من دم أجنبي ، وليس من شجرة

الحكام الأصليين .

نداء فضيلة الاستاذ الاكبر

إلى العالم الاسلامي

بما يجب عليه لإخوانه المسلمين في تونس والجزائر والمغرب الأقصى

أذاع فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صباح يوم الخميس ٣٠ ربيع الاول :

أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم ، المتمتعون من الله عز وجل بنعمة العافية والاطمئنان . إن دماء إخوانكم في الإسلام تناديكم من الحدود الغربية لمملكة ليبيا إلى أقصى جبال الأطلس لتسكنونوا عوناً لأهلها على دره الظلم عنهم ، ووضع حد للبغي على حقوقهم الإنسانية والوطنية ، وتمكينهم من أن يعيشوا في ديارهم أحراراً كراماً آمنين . إن إخوانكم هؤلاء هم ذرية الأبطال الذين كانوا مع طارق بن زياد في إيصال رسالة الإنسانية والحضارة والآداب والعلوم وال عمران إلى غرب أوروبا ، وفيهم سلالة اللاجئين من الأندلس فراراً بدينهم وإنسانيتهم من مظالم دواوين التفتيش عند خروج المسلمين من ذلك الفردوس المفقود . وهذه أسلاك البرق وموجات الاثير تنقل اليكم بين كل ساعة وساعة صدى قذائف المدافع الرشاشة

ومختلف الاسلحة وهي آفتال الاحرار بأساليب قطاع الطرق ، وتحصد ارواح المدنيين العزل من السلاح كما يفعل الجبناء ، وتأخذ لأصحابها - من المسلمين الآمنين في تونس والجزائر ومراكش - النار الذي عجزوا عنه في شرق فرنسا لما وطئت أرضهم سنايك خيول الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية . يقول نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، أي لا يظلمه إذا كان في ولايته وتحت سلطانه ، ولا يخذله إذا سبه الظلم من عدوله ببغي عليه .** نحن المسلمين العالمين بقواعد الإسلام - وهو دين السلام - قد فتحنا أبوابنا ووظأنا رحابنا للفرنسيين وغير الفرنسيين من أمم الأرض ، فأقاموا بيننا مرافقهم ومدارسهم ، وقصدوا أسواقنا بمصنوعاتهم ومنتجاتهم ، واقوا من حسن معاملتنا ورحابة صدورنا وسلامة قلوبنا ما لم يروه في أي بلد آخر . كل ذلك على أمل منا بأن يحسنوا معاملتنا كل من له علاقة بهم من إخواننا

بهذا تحكم الشريعة المطهرة ، وبهذا تتادى
دماء المسلمين المسفوكة في جناح الإسلام
الغربي . ومن حق هذه الدماء وأهلها على
المسلمين أن يبادروا لها باسعاف المنكوبين
وتضميد جراح المجروحين ، ومعاونة الأيادي
والايتام والمنكوبين . والله في عون العبد
مادام العبد في عون أخيه .

زائرنا عظيمنا مصر :

استقبلت مصر في هذا الشهر بعظيم الحفاوة
وبالغ الإكرام حكومة وشعباً ، زائرين
عظيمين : أهلها ملك ليبيا ، فكان من نتيجة
زيارته زيادة التقارب والتآلف ، ويوشك بعد
ذلك أن تنضم ليبيا إلى جامعة الدول العربية .
والثاني : العقيد أديب الشيشكلي زعيم النظام
القائم الآن في الدولة الشقيقة سوريا ، فكان
من نتيجة زيارته التفاهم بين مصر وسوريا
على أهم ما يهم البلدين والعروبة من وسائل
الاتصال والتعاون على النهوض بالقومية
العربية وتنظيم قواها الادبية والاقتصادية
والدفاعية حتى تبلغ إن شاء الله المكافحة اللائقة
بها بين الامم . وكنا نود أن نسهب في تفاصيل
هاتين الزيارتين لو أن مجلة شهرية كمجلة
الازهر يحتمل نطاقها هذا الواجب .

وسنشير بعد الآن إلى ما سيكون من نتائج
لهذه الزيارة في تطور العلاقات بين مصر وجارتها
وتعاونها معها على ما فيه الخير والمصلحة .

في الدين ، وأن يقوموا لهم بحقوق الإنسان
على أخيه الإنسان ، وأن يحترموا حريتهم
ويحافظوا على كرامتهم .

واننا لا نزال على أخلاقنا وآداب ديننا
مع جميع الامم . ومن ينكر علينا أو على
طائفة من إخواننا في الدين ما يجب عليه أن
يرعاه من حقوقهم الإنسانية والوطنية
والمالية فإن أقل ما يجب على المسلمين حينئذ
ألا يتعاونوا مع أهل البغي في تجارتهم وصناعاتهم
ومرافقتهم ، وأن يكون أول ما يفعلونه
مقاطعة مدارسهم ومعاهدهم وكل وسائل
التعاون معهم وأسباب الاتصال بهم .

والولاية في الإسلام هي النصر . والتعاون
والاتصال من أوثق مظاهر الولاية ، والله عز
وجل يقول في كتابه العزيز : « ومن يتوهم
منكم فإنه منهم ، ولو أنهم قائمون لآبناء ديننا
بمقوقهم ، يحافظون لهم على كرامتهم وحريتهم
فإن المسلمين من أصدق أمم الأرض عهدا
مع غيرهم من الامم . ومن كان منه لإخواننا
المسلمين عكس ذلك من البغي والظلم كما هو
جار الآن من الفرنسيين في شمال إفريقيا فإن
أقل ما يتحقق به الواجب الشرعي على المسلمين
في جميع بقاع الأرض مقاطعة أهل البغي في
جميع وسائل التعاون وأسباب الاتصال ، إلى
أن يعرفوا لإخواننا في الدين حقوقهم الإنسانية
والوطنية والمالية ويقوموا بها حق القيام .

الكتب

(طبقات فحول الشعراء)

لمحمد بن سلام الجمحي

محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٢٣١) إمام من أئمة العربية وأديبها وتاريخها وأنسابها . أخذ العلم عن فحول أهله الذين نبغوا في دولة بني أمية ، ولا سيما علماء البصرة منهم ، وكان من مفاخر صدر دولة بني العباس ، وأخذ عنه كبار أئمة الأمة ممن عاصروه . وهو ينتمي إلى ولاء بني جمح ، وولائه فيهم لقدماء بن مظعون الجمحي ، وكان أبوه سلام من شيوخ العلم ، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث ، وابنه وابن أخته كل هؤلاء كانوا من العلماء .

وكتاب « طبقات الشعراء » سبق إلى طبعه المستشرق يوسف هل سنة ١٩١٣ - ١٩١٦ عن مخطوطتين للشنقيطي نقلتا عن أصل في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة لعله مختصر أو ناقص ، ثم وقع في يد السيد أمين الخانجي الكتبي دشت اطلع عليه الأديب الضليح المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر قبل أكثر من ربع قرن وجمع منه أشنتانا من أصل قديم لهذا الكتاب القديم كانت جيدة الخط حسنة الضبط محررة اللفظ يقل فيها الخطأ ، ويظن الأستاذ محمود شاكر أنها ترتد إلى القرن الخامس الهجري ، وما وجدته منها أوراق متتابعة أو مفرقة من أول النسخة وأوسطها وآخرها ، فنقل منها نسخة بخطه وبقيت من آخرها أوراق لم ينقلها لعلها لا تتجاوز عشرين ورقة ، ثم تصرف السيد أمين الخانجي بالأصل العتيق فلا يعلم أين هو الآن ، ولكن النسخة التي نقلها عنه الأستاذ محمود شاكر ، مضافاً إليها علمه وبصيرته النافذة في الأدب والشعر ، ومقارنته هذا الأصل بكل ما نقله المؤلفون كأبي الفرج الاصبهاني في الأغاني والمريزبان في الموشح عن طبقات الشعراء للجمحي ، قد رد إلينا هذا الكنز النفيس بأكمل ما يمكن أن تصل إليه يد العلم والتحقيق .

فطبقات خول الشعراء للجمعي في طبعها الجديدة التي صدرت في هذا الشهر من دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر في أكثر من سبعمائة صفحة كبيرة تمتاز بجودة الأصل الذي اعتمد عليه في الإخراج ، وما فيه من زيادات على الأصل المختصر المحفوظ بمكتبة عارف حكمة بالمدينة ، ثم تمتاز برجوع الأستاذ محمود شاكر إلى أمهات كتب الأدب القديمة التي نقلت عن طبقات الجمعي ، ففارق المنقول فيها بالأصول الموجودة ، وتدارك النقص بما حفظته تلك النقول من زيادات . وقد وهب الله الأستاذ محمود شاكر روحاً تتجاوب مع أرواح شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في لغتهم وديباجتهم والمعاني التي يتألق وميضها في شعرهم البليغ ، فهو يفهم عنهم كل ما في كتاب طبقات الشعراء للجمعي من نصوص كما يفهم أحاسيس نفسه وخطرات فكره وعواطف قلبه ، وليس هذا بكثير على شارح قصيدة الشماخ الغطفاني التي يصف بها القوس العذراء ، بقصيدة تمد آية من آيات البعث والإحياء للمعاني العربية الأصيلة بلغتها التي تستمد من لغة الإعجاز^(١) .

أما شرح الأستاذ محمود شاكر لطبقات الشعراء فإنه بذاته كتاب آخر نفيس ، قد حفل بوجوه التحقيق ، وآلاء الفوائد ، ودقيق الملاحظات . خذ لذلك مثلاً قول ابن الزبير في يوم أحد (ص ١٩٩) :

ليت أشياخي بيد شهدوك ~~عجبر الخورج~~ من وقع الأسل
حين ألفت (بقناة) بركاها واستحرق القتل في عبد الأشل

فإن جميع كتب الأدب تحرف فيها البيت الثاني بلفظ : حين ألفت بقاء بركاها ، وبقاء لم ينشب فيها القتال يوم أحد ، والذي يقوله ابن هشام (٣ : ٦٦) أن قريشاً أقبلوا حتى نزلوا بجبل بطن السبخة من (قناة) مقابل المدينة . فترجح أن تكون (بقاء) محرقة عن (بقناة) وقول ابن الزبير بعد ذلك (ص ٢٠٠) :

فقبلنا النصف من سادتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

يتحرف في كتب الأدب : (فقتلنا النصف) و (فقتلنا الضعف) ، قال الأستاذ محمود شاكر : إن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين ٧٠٠ قتل منهم ٧٤ من الشهداء . ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين فإن عدة

(١) انظر مجلة (الكتاب) جزء جمادى الأولى ١٣٧١

قتلى بدر من المشركين ٧٠ أو ٧٤ وإنما أراد ابن الزبير أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذي قتله المسلمون منهم في بدر فانتصفوا منهم ، والنصف العدول والانتصاف .
 وفي شرح الأستاذ محمود شاكر لقول جزء أخى الشماخ برثى عمر بن الخطاب (ص ١١١)
 وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبتي أزرق العين مطرق
 يقول : وقد ماء علمائنا يقولون في النمر يشبه أن يكون سمي سبتي لجرأته . وأنا أرى أنه مأخوذ من الإصابات وهو أن تطرق الحية فلا تتحرك . والمسبوت الليل إذا بقي كالنائم يغمض عينيه في أكثر أحواله ، وذلك صفة النمر . ولا معنى للجرأة هنا فإنه أراد اللذم وسائر البيت دال عليه .

وقول ابن رواحة (ص ١٨٦) وقد أخذ بزمام ناقة النبي ﷺ في عمرة القضاء :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا ، فكل الخير مع رسوله
 نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

نسبه ابن هشام لعمار بن ياسر مستدلاً بأن المشركين لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، ثم تهاوى المؤلفون على سقطة ابن هشام كما فعل الشيعي في كتاب وقعة صفين ص ٣٨٦ . قال محمود شاكر : ليس المراد بالتأويل في البيت تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤدي إليه نبا الله لنبيه ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به كما في قوله تعالى ، هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله . . . وفي قول ابن رواحة إشارة إلى ما كان في عمرة الحديبية - قبل عمرة القضاء بسنة - ورؤيا النبي ﷺ أنه دخل البيت آمناً وأخذ مفتاح الكعبة ، فلما رجع بصاح الحديبية كره ذلك من كرهه فأنزل الله ، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فن عام قابل أمر رسول الله أصحابه أن يعتمروا عمرة القضاء . . . فهذا هو التأويل ، وما صارت إليه موعدة الله لرسوله .

وفي ص ٣١٩ صحح قول أبي الفرج في الأغانى (٨ : ٦) : قال محمد بن سلام : ورأيت اعرابيا من بني أسد ، فقال الأستاذ محمود شاكر : ولم أعرف جريرا أهما بنى أسد ، والصواب بنى أسيد ، بتشديد الياء على التصغير . ثم أورد الأدلة على ذلك ، وصحح أخطاء أخرى في الأغانى .

وفي ص ٣٩٠ رد على الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٧٨ - ١٧٩ قوله ، ويقال للرجل المفرط الطول : يا ظل النعامة ، واستشهد الجاحظ بقول جرير :
 فضح العشيرة يوم يسلم قائما ظل النعامة شبة بن عقال

فقال الأستاذ محمود شاكر : وقول الجاحظ في إفراط الطول ليس بشيء ، فالنعامة طويلة العنق منفتحة الوسط دقيمة الساقين وظلها لا يطول . وربما كان له وجه لو قال إنه أراد قبح المنظر . وأرى أن النعامة هنا (أى في شعر جرير) خشبتان ينصبهما الربيعة أو الصائد في ريد الجبل ويلقى عليهما الثمام ليستظل به من الشمس أو المطر ، وهي خليقة أن تكون مختلطة الظل قبيحته . والجاحظ جرىء قادر ، ولكنه يخطئ الخطأ يتوارثه الناس من بعده ثقة بعقله .

وفي ص ٣٩٥ انتقد مصححي دار الكتب لتحريفهم في الأغانى ٨ : ٨٤ قول الفرزدق :
سقى أربحاء الغيث ، وهي بغيضة إينا ، ولكن كي ليسقاه هامها
فزعموا أن دكى ليسقاه ، تحريف . ويقول الأستاذ محمود شاكر : هو صواب محض
جاء في الشعر (واستشهد بشعر لابن قيس الرقيات) .

وفي ص ٤٦٨ صحح لابن سلام الجحى ما رواه عن مرور الفرزدق بذى الرمة وهو ينشد :
أمزلى منى سلام عليك
هل الأزمى اللأى مضين رواجع
فولى الفرزدق وهو ينشد :

ودرية لو ذو الربيعة رامها بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح
فقال الأستاذ محمود شاكر : وقد روى في ديوان الفرزدق ١٤٧ أن الفرزدق مر به
وهو ينشد في اللربد :

أمزلى منى سلام عليك على النأى والنأى يود وينصح
قال : وهذه الرواية أشبه بالصواب ، لأنها هي التى ذكر فيها ناقته صيدح فذكرها
الفرزدق في بيته .

هذه نماذج من تحقيقات الأستاذ محمود شاكر وله مئات من أمثالها في شرحه على طبقات الشعراء لابن سلام . وقد ألحق به فهرساً للأعلام والقبائل ، وآخر للأماكن ، وثالثاً للغزوات والأيام ، ورابعاً لقوافى الشعر ، وخامساً للأرجاز ، وسادساً لشعراء الطبقات على حروف المعجم ، ثم فهرست الكتاب . ولو أن كل أصل من أصول الأدب والعلم في تراث العرب والإسلام يقيض له من يعنى بتزيين المكتبة العربية به مصححاً محققاً مخدوماً مشروحاً كما فعل الأستاذ محمود شاكر بطبقات الشعراء لكان ذلك بعناً لذخائر الأمة وإحياء لثمرات عقولها .

الى الاسلام من جديد

هذا الكتاب حلقة من سلسلة اطلعنا حتى الآن على ست عشرة حلقة منها ، في بعضها بحوث اقتصادية لطيفة كتبت بلغة الخطابة ، قارن فيها المؤلف نظام الإسلام الاجتماعي والاقتصادى بغيره من الأنظمة ولا سيما الشيوعية والرأسمالية فأحسن في المقارنة وأجاد على قدر ما وسعه علمه . وتعرض في بعض هذه الحلقات لما لا يفهمه ولا يعلمه من علوم الشريعة الإسلامية فسقط في هاوية من الكفر لا يتقبله منها إلا الرجوع إلى حظيرة الملة بالنوبة إلى الله عز وجل من التعرض لما يجمله . ونضرب المثل لذلك برسالة (الصلاة كما فرضها الله في القرآن) وهى فى ٦٢ صفحة ذهب فيها إلى أن فريضة صلاة الصبح غير فريضة صلاة الفجر ، وإلى أن صلاة القيام (فرض) يومى دائم ، وأن صلاة الظهر ليست من فرائض الصلاة الإسلامية ، وأن صلاة المغرب أربع ركعات لا ثلاث ، وصلاة الفجر أربع ركعات ، وصلاة الصبح أربع ركعات ، وفريضة القيام أربع ركعات ، وفريضة الجمعة أربع ركعات ، وأن من الفروض نافلة الليل وهى أربع ركعات ، وأن سجدة التلاوة أربع . وهذه الصلوات الرباعيات المفروضة فى زعمه تصلى مثنى مثنى . وقد أصيب هذا المؤلف بهذا الخلل القادح فى دينه لأنه يكر سنة رسول الله ﷺ ويغضها ويحاربها ويجادل فى صحتها بلا علم ولا دراسة ولا اطلاع . وفى كتابه الجديد ، إلى الإسلام من جديد ، نموذج من هذا الهديان . ولا ندرى هل هو كافر بالتاريخ كما هو كافر بالسنة المحمدية ، فينكر - مثلاً - ما يعلمه الناس عن الاسكندر المقدونى وسقراط وسولون ويوليوس قيصر وقسطنطين وشارل-كان وشارل مارتل والحروب الصليبية والأخبار المدونة عند الإنجليز عن تاريخ ملوكهم وتوسعمهم الاستعمارى ، والأخبار المدونة عند الفرنسيين عن القديس لويس وجاندارك وقيام الجمهوريات الفرنسية وسقوطها . فإن كان كافراً بكل ما تعرفه الأمم عن ماضيها فإننا ندعو له بالشفاء من هذا المرض الذى أصيب به وحده . وإن كان مصدقاً بتاريخ البشر ، وما دونته الأمم من أحداث ماضيها وأقوال عظمائها وأعمالهم ، فإن ما عند المسلمين من سنة نبهم أوثق صحة وأعظم تمحيصاً وأكثر تحقيقاً من كل ما بذلته أمم الأرض من تحقيق فى تدوين التاريخ . ومن فنون الجنون أن يكون الرجوع إلى الإسلام من جديد ، قائماً فى مذهب مؤلف هذا الكتاب على أساس إنكار سنة

رسول الله ﷺ بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، ولو كان فهمه للقرآن سليماً لعلم أن السنة من أعظم ما أقره القرآن ، والذي ينكر إقرار القرآن للسنة لا يجوز له أن يثق بفهمه للقرآن ، فما بالك بحكم الناس عليه . ولا ندري هل إنكاره للسنة المحمدية متفرع عن اعتقاده بأنه لو كان معاصراً للنبي ﷺ لكان غير مطيع له فيما صح صدوره عنه وأمره به ، أم أنه يقف هذا الموقف من أرامر رسول الله ونواهيهِ لإقحامه نفسه من الهندسة إلى علم لا معرفة له به .

ولعل القارىء يجب أن يعرف من هو هذا المؤلف الذى ألقط عن المسلمين صلاة الظهر ، وفرض لهم فرائض غير التى عرفها المسلمون من نبيهم ﷺ ، وأحدث لهم هذا التغيير فى هيئتها وأعداد ركعاتها بهندسة تنافى فقه الإسلام وما نواتر من شريعته وعبادته . إنه مساعد كبير مهندسى التليفونات الاستاذ نجيب متولى ، وكان فى الحلقات السالفة من سلسلة مؤلفاته يخجل من المسلمين أن يواجههم باسمه ، فلما ذاع الآن فى أقطار الأرض اسم قائد حركة الإصلاح فى مصر أباح منكر السنة المحمدية لنفسه أن يدخل تعديلاً على اسمه كالتعديل الذى أدخله على فرائض الصلاة الإسلامية فوضع على كتابه الجديد اسم (محمد نجيب) ، وهذا التعديل يسمى - بتدليساً - فى اصطلاح علم السنة الذى ينكره هذا المؤلف . أما اسم كتابه الجديد (إلى الإسلام من جديد) ، فقد استعاره من كتاب مشهور تكرر طبعه فى مصر بهذا العنوان وهو من تأليف أحد مفاخر مسلمى باكستان الاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى كان ضيف مصر منذ عهد قريب ، غير أن كتاب الأستاذ أبى الحسن الندوى يدعو للإصلاح والخير ، وقد أصبح اسم كتابه من أسماء الاضداد بعد إطلاقه الآن على كتاب يدعو صاحبه إلى إمامة سنة رسول الله ﷺ وتعطيل العمل بها .

فهارس البخارى

لم تعز أمة على وجه الأرض بتحقيق ما صدر عن إنسان من أقوال وأفعال ، ولا يتمحيص ما نسب إلى عظيم من عظماء التاريخ ، بل لم تبذل أمة من الجهود الكريمة الحكيمة للتثبت من صحة أى جانب من جوانب تاريخها وأحداث ما فيها ، كما اعتنى أصحاب رسول الله ﷺ بضبط ما سمعوا ورأوا من أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وأحواله ،

وكما محص التابعون لهم بإحسان روايات أسانديهم من الصحابة وضبطوها وحفظوها وأدوا أماناتها لمن تلامم من تلاميذهم إلى أن دون الزهري ثم مالك وطبقتهما ذلك التراث العظيم وهو لا يزال غصنا كما قطف، صافيا كما خرج من ينبوعه، فكان تدوين مالك في الموطأ عن نافع ما حدثه به عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب، يكاد يشبه تناول الأمين الأمانة من أمين آخر كما يتناول الناس الأشياء من يد إلى يد سليمة كاملة نقية يرضى عنها الله ورسوله. وقد سن الصحابة والتابعون وتلاميذهم لهذه الأمة سنة في تحرى العدالة والضبط عند من يأخذون عنه سنة نبيهم ﷺ لأنهم مؤمنون بأنها دين وأن من الدين التثبت من صحة صدورها كما هي عن صاحب هذا الدين الذي توعد من يكذب عليه متممداً بأن يتبوا مقعده من النار.

ومن أحفل صحاح الحديث النبوي وأكثرها عناية بالمتن والسند، صحيح الإمام البخاري، وكان أئمتنا السابقون يحفظونه بأسانيدهم ويحفظون غيره من أمهات دواوين السنة فلا يحتاجون إلى فهارس تدلهم على مواضع الحديث في هذه المکتب، إلى أن ضعف الحفظ فمضى العلماء بتأليف الفهارس وكانوا يسمونها (الأطراف) ومنها كتاب الأطراف للحافظ المزني في ثمانية مجلدات وأطراف الصحيحين لابن خلف الواسطي، وأطراف المکتب الأربعة (أي السنن) للحافظ ابن عساكر، وأطراف العشرة للحافظ ابن حجر، وآخرها ذخائر المواريث لعبد الغني النابلسي. ومن الفهارس مفتاح الصحيحين لأحد علماء الترك وبراء الساري لأحد علماء الهند، وحتى المشتغلون بالعلوم الإسلامية من المستشرقين ألفوا مفتاح كنوز السنة، وتقوم (اليونسكو) الآن بالإتفاق على طبع فهرس لجميع ألفاظ السنة ومواضع وجودها في كتب الحديث وقد صدر منه في ليدن بهولنده ثمانية عشر مجلداً ولا يكاد يبلغ نصف المکتب.

وأما الآن كتاب على جيد خاص بأحاديث صحيح البخاري ألفه فضيلة الاستاذ المحقق المتقن الشيخ رضوان محمدرضوان وقسمه إلى أربع فهارس: الأول للأحاديث المسندة وهي معظم المکتب فأورد الحديث القصير بنامه، وأخذ من الطويل قطعة منه تدل على الباقي ثم ذيله باسم راويه من الصحابة وذكر عقب ذلك مواضع تكرير الحديث في المکتب وقد تباع في بعض الأحاديث سبعة مواضع أو ثمانية أو تزيد. وهذا الفهرس في ٤٤٠ صفحة كبيرة. وبعده فهرس للأحاديث المتعلقة نحا فيه نحو ما صنعه في الفهرس الأول، والفهرس الثالث للآثار. والرابع لمکتب صحيح البخاري وأبوابه التزم فيه أرقام الأجزاء والصفحات

في الطبعة الاميرية سنة ١٣١٤ والطبعة التي أخذت عنها بالنصوير الشمسي . وإلى جانب ذلك دل على أرقام أجزاء وصفحات فتح الباري طبعة الخشاب سنة ١٣٠٨ ، وشرح الكرماني طبعة سنة ١٣٥٢ ، وشرح الفسطلاني . وبهذه الفهارس المتممة للفهرس الأول بلغت صفحات الكتاب ٦٠٠ صفحة من القطع السكامل لجزى الله المؤلف بالثوبة والرضا على ما بذل من جهد وتعب في إتقان عمله تيسيراً للباحثين وخدمة لسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

هواتف إسلامية - للشيخ إبراهيم على أبو الخشب

هي مجموعة من هواتف الصاخبة عرضت لفضيلة الاستاذ المؤلف في أوقات مختلفة وظروف متنوعة فانساق في تسجيلها كما ينساب الماء في النهر هادئ السير متتد الحركة والانتقال . وقد عالج فيها بعض الموضوعات الدينية أو المشاكل الإسلامية فصورها ببريشة الادب لأنه أصبح الوسيلة النظمى في لغة التخاطب للعقول الناضجة والاذهان المستنيرة . فجاء الكتاب في نحو مائتي صفحة من القطع الكبير ، فنلفت إليه أنظار القراء والمتأدبين .

السجل الثقافى لسنة ١٩٥٠

اعتمادات إدارة التسجيل الثقافى منذ ثلاث سنين إصدار كتاب سنوى حافل بعنوان (السجل الثقافى) تؤرخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمناحف والحفائر والمعارض والمسرح والسينما . وقد صدر عنها الآن المجلد الثالث من هذه السلسلة التي تعد مرآة لنهضة مصر في العلم والادب والفن وكل ما يتصل بالثقافة من إنتاج فكرى ونشاط أدبى في سنة ١٩٥٠ ، فلاحظنا فيه تقدماً على أخويه السابقين بالتوسع في بعض الابواب ، وإضافة أبواب جديدة لم يتسع لها السجل في سفره السابقين ، وتقديم نبذة موجزة بين يدي كل باب تشرح ما يحتويه الباب وطريقة تسجيل المادة فيه حتى يسهل الامر على من يريد أن يتصفح السجل في عمومته وشموله قبل أن ينتقل إلى تفصيل القول في كل باب من أبوابه .

وقد دعا القائمون على هذا العمل العلى الشاق أهل الفضل من رجال الفكر والثقافة لأن يعاونوهم في استكمال ما قد يستشعرونه فيه من نقص ، وذلك بما يقوى الرجاء في أن يطرد التوسع في أسفار السجل الآتية مع إطراد التقدم الثقافى في المجتمع المصرى ، حتى يكون أصدق مرآة له في الحاضر والمستقبل .

معجم غريب القرآن

مستخرجا من صحيح البخارى

قال الجلال السيوطى فى الإتقان عند كلامه على غريب القرآن : « إن أولى ما يرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه ، ونقل السيوطى فى موضع آخر من الإتقان قول الإمام أحمد بن حنبل « بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة لورحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا ، قال الحافظ ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث بن سعد رواها عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وهى عند البخارى عن أبى صالح كاتب الليث وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس . وقال قوم : لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير . قال ابن حجر : بعد أن عرفت الوسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك .

ولما اطلع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى على هذه الحقائق ، أراد أن يجمع ما يمكن جمعه من صحيفة ابن أبى طلحة بعد أن أصبحت مفقودة فذكر على صحيح البخارى متعصيا كلماته كلمة كلمة ، فتصيد منها الحرف الغريب من القرآن وأرصده فى جزارة ، حتى إذا أوفى على الغاية من الاستقصاء والتحرى وتكاملت الجزازات أقبل عليهن يرتهن وينظمن على أوائل حروف المادة التى منها اللفظة الغريبة وبوبها حتى خرج له من ذلك هذا المعجم جامعا لكل ما جاء فى صحيح البخارى من تفسير الغريب ، بعضه من صحيفة ابن أبى طلحة عن ابن عباس وبعضه عن غير ابن عباس . والبخارى لم يرو فى صحيحه كل الصحيفة وإنما روى ما يتعلق بشرح معنى اللفظ الغريب . وعلى كل حال فهذا المعجم لغريب القرآن يعد من أقدم معاجم العربية ، وقد جاء فى ثلاثمائة صفحة من حجم صفحات هذه المجلة ، وعنت بنشره دار إحياء الكتب العربية بحروف جميلة مضبوطة . فتلقت إليه الأنظار .

معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام

هي إحدى رسائل المفكر الإسلامي الكبير أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ، استعرض فيها معضلات الاقتصاد وذكر كيف أن الاقتصاديين بالغوا في تعقيدها وهولوا في أمرها ، ولو رجعوا في دراستها وحلها إلى أساليب الفطرة على المنهج الإسلامي ، لتمكنوا من اكتشاف سبيل الإنسانية إلى السعادة . وقد أورد في هذه الرسالة ما يقوله أهل المذاهب الاقتصادية المختلفة عن معضلات الاقتصاد وطريقته في حلها وقارنها بأساليب الإسلام مبينا أنه هو أسلوب الفطرة وهو الأليق بالإنسانية ، وأن الآخرين أوجدوا المعضلات وضخموها بسبب المذاهب التي يزعمونها لحل تلك المعضلات .

وكانت الرسالة مؤلفة باللغة الأوردية ، ونشرت بها بالعربية لأول مرة في باكستان ، ثم أعيد نشرها الآن في مصر ، بعناية لجنة الشباب المسلم ، مع تحسين في أسلوبها العربي ، لجأت في ٧٦ صفحة من القطع الصغير . فقامت الانظار إليها .

حقوق المرأة في الاسلام

كتيب لطيف بقلم الفاضل الاستاذ عبد القادر شيبه الحمد بناء على الآية القرآنية ، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، فأفاض في تفاصيل حقوق المرأة وامتيازاتها في الإسلام ، وأن ذلك كان نعمة لها في ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهي قريرة العين به ، حتى انطلق أقزام العنائد من بلاد الغرب لتفريق الصفوف ، وتمزيق الشمل ، فاستضاءوا بوسائلهم الخبيثة أن يصلوا إلى أعماق ما يريدون ، وارتفعت أصوات في كل بلد تردد أبنكار المحتلين ورغباتهم ، وتميزت من هذه الأصوات أصوات تحمل في صداها ثورة لنساء الإسلام يرددها أديباء الإسلام ليفسدوا على الأمة مجتمعها وعلى نساء المسلمين هناهن وسعادتهن .

والرسالة على إيجازها حافلة بالمعلومات القيمة والآراء الصحيحة والنصيحة للمرأة المسلمة والأمة كلها ، وهي في نحو مائة صفحة صغيرة . فنحث الشباب من أبناء المسلمين وبناتهم على تدبر ما فيها من حقائق .

العجلة الإسلامية في شهرها

تعديل الوزارة المصرية

سقوط دستور ١٩٢٣

أذاع الرئيس اللواء محمد نجيب من منزله بحلقة الزيتون في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة من صباح الأربعاء ٢٢ ربيع الأول (١٠ ديسمبر) بياناً تاريخياً أعلن فيه باسم الشعب المصري سقوط دستور سنة ١٩٢٣ لأن البلاد كانت قبل قيام الجيش بثورته قد وصلت إلى حال من الفساد والانحلال أدى إليها تحكيم ملك مستهتر ، وقيام حياة سياسية معيبة ، وحكم نيابي غير سليم ، فبدلاً من أن تكون السلطة التنفيذية مسؤولة أمام البرلمان كان البرلمان هو الخاضع لتلك السلطة الخاضعة لملك غير مسئول ، وكان ذلك الملك يتخذ من الدستور مطية لاهوائه ، ويجد فيه من الثغرات ما يمكنه من ذلك بمعاونة الذين كانوا يقومون بحكم البلاد .

والآن بعد أن بدأت حركة البناء وأصبح لزاماً أن نغير الأوضاع التي كادت تودي بالبلاد التي يسندها ذلك الدستور المليء بالثغرات ، ولكي تؤدي الأمانة التي وضعها الله في أعناقنا لا مناص من أن نستبدل بذلك الدستور دستوراً جديداً يمكن للأمة أن تصل إلى أهدافها حتى تكون بحق مصدر السلطات وإن الحكومة آخذة في تأليف لجنة تضع

عدلت الوزارة المصرية يوم ٢١ ربيع الأول (٩ ديسمبر) فتولى وزارة الخارجية الدكتور محمود فوزى سفيرنا في لندن بدلاً من الأستاذ فراج طابع ، وتولى وزارة التجارة والصناعة الدكتور حلمي بهجت بدوى وكيل البنك العقاري بدلاً من الدكتور محمد صبرى منصور الذى عين وزيراً للتموين . وتولى وزارة الشؤون البلدية والقروية الأستاذ ولیم سليم حنا الأستاذ بكلية الهندسة بدلاً من الأستاذ عبد العزيز على الذى عين حارساً على أموال الملك المخلولوع . وتولى وزارة الشؤون الاجتماعية الدكتور عباس عمار مدير اليونسكو في مصر بدلاً من الأستاذ فؤاد جلال وزير الشؤون الاجتماعية الذى تولى وزارة الإرشاد القومى بدلاً من الأستاذ فتحى رضوان الذى عين وزيراً للدولة وتولى وكالة الخارجية إلى أن يحضر الأستاذ محمود فوزى من لندن . وما لفت النظر في هذا التعديل أن كتاب استقالة الوزارة افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن الذين رشحوا لتعيينهم في الوزارة الجديدة كانت دعوتهم بالتليفون فلاقى الخارجيون والداخلون للتفاهم على التعديل الوزارى .

محاياة الغرب لاصدقائه (وسادته) من اليهود
فإن خسارة فلسطين لا تعد إلا جزءاً هاماً
من العالم العربي الذي يمتد من الدار البيضاء
إلى بغداد، وإلكن على إسرائيل والدول
الغربية أن تواجه سبعين مليوناً من العرب
إن ينسوا هذه المأساة إلى الأبد. ولايستطيع
مخلوق أن يتحكم في المستقبل أو يقرر مصائر
البشر كما يريد. وإن العاصفة الدرية المقبلة
ستكون بمعونة الله عاتية وستقتلع كل شيء
يعترضها في طريقها . .

وشعر ممثلو الدول العربية والإسلامية
بأن الدول الضالعة مع اليهود جادة في إصدار
قرار من اللجنة السياسية بالموافقة على اقتراح
الدول الثمان المحايدة ، فقامت سوريا في
اللحظة الأخيرة بمحاولة لمنع أخذ الأصوات
على ذلك ، إذ اقترحت أن تعرض قضية
فلسطين على محكمة العدل الدولية . وينهض
الاقتراح السوري على نقط أربع تريد سوريا
أن تعرضها على محكمة العدل وهي :

١ - هل من حق اللاجئين الفلسطينيين
العودة إلى أوطانهم الأصلية ومزاولة
حقوقهم المدنية ومصالحهم المالية ؟

٢ - هل من حق إسرائيل إنكار هذه
الحقوق ؟

٣ - هل من حق الدول التي لا يتبعها
اللاجئون أن تفاوض من أجل هذه الحقوق ؟

مشروع دستور جديد يقره الشعب ويكون
منزها عن عيوب الدستور الزائل .

وختم الرئيس بيانه مناشداً الجميع بأن
ينسوا أشخاصهم ، وأن يذلوا من أنفسهم
ما يضمن للوطن القوة والسعادة والمجد ،
متحدين متكاتفين ، فلا مصالح شخصية ،
ولا أهواء حزبية بعد اليوم .

قضية فلسطين والوصم المتعمدة

دفعت بريطانيا بمثل ثمانى دول من الدول
المحايدة ، كهنولندا والدانمرك والنرويج وكندا
إلى تجديد الاقتراح في هيئة الأمم المتحدة
بدعوة إسرائيل والدول العربية إلى الدخول
في مفاوضات مباشرة للاتفاق على مسألة
فلسطين . وعقب تقديم الاقتراح وقت
مندوب إسرائيل فأيده . ثم وقف السيد أحمد
الشقيرى الأمين العام المساعد للجامعة العربية
فقال : « إن هذا الاقتراح يقضى على القرارات
السابقة التي اتخذتها الهيئة بعودة اللاجئين
العرب إلى وطنهم وتدويل القدس وغير ذلك
بما ضربت به إسرائيل عرض الحائط . وفي
الوقت الذى يعلم فيه اللاجئون العرب أنهم
لن يعودوا إلى ديارهم ، ويرفض فيه اليهود
إطاعة قرارات الهيئة ، يعرض علينا هذا
الاقتراح العجيب الذى لا يهدف إلى السلام .
إن العرب إذا فقدوا فلسطين كلها بسبب

الحكومات العربية - في جميع عواصمها -
تمثل بريطانيا المعتمدين لديهم وقدموا لكل
منهم شبه احتجاج شديد اللهجة على موقف
بريطانيا الجديد من قضية فلسطين والتحيز
الظاهر من وفدها في الأمم المتحدة إزاء
الصهيونيين في القرار الذي أصدرته اللجنة
السياسية للهيئة بدعوة العرب وإسرائيل
للدخول في مفاوضات مباشرة، غير مبالية
بقرارات الأمم المتحدة السابقة بشأن إعادة
اللاجئين إلى ديارهم، وتعرضهم عن ممتلكاتهم،
وتحويل مدينة القدس. وقد اتهمت الحكومات
العربية في مذكرة الاحتجاج الحكومة
البريطانية بأنها هي التي وضعت القرار ودفعت
به إلى الدول الثمان التي تقدمت به باسمها،
ثم إنها هي التي قامت بالضغط السياسي على
الكثير من الحكومات لتوافق على هذا القرار
الذي جاء مخيباً لآمال الحكومات العربية
في الأمم المتحدة، وقد تجذبت فيه الأمم المتحدة
مبادئ ميثاقها وعدالة القضية المعروضة عليها.
وإن بريطانيا بتحيزها هذا للصهيونيين أرادت
أن تطمن الحكومات والشعوب العربية طمئة
جديدة وأعلنت الحكومات العربية في ختام
مذكرتها أنها غير مستعدة إطلاقاً لتنفيذ
القرار الظالم، وتطلب من الحكومة البريطانية
تصحيح الوضع عند عرض موضوع فلسطين
من جديد على الجمعية العمومية للأمم المتحدة.

٤ - هل لأعضاء الأمم المتحدة الحق
القانوني في الاتفاق على هذه الحقوق ؟

ومن عجيب التصرف الصادر عن الدول
الممثلة في اللجنة السياسية لهيئة الأمم - وهي
تعد زعيمة الحضارة البشرية في هذا العصر -
أنها لم تبال بهذه الأسئلة الأربعة الواضحة
وضوح الشمس، وكان عندها الجرأة العجيبة
بأن أجازت اقتراح الدول الثمان التي يسمونها
بالمحايدة، ورفضت الاقتراح السوري
باستفتاء محكمة العدل في هذه الأسئلة الدامغة.

لقد صدق السيد أحمد الشقيري سائياً قال
إن الغرب يحابي أصدقاءه (وسادته) من اليهود
في قضية فلسطين، وإن الغرب يقدم للتاريخ
دليلاً جديداً على هذه الحقيقة.

ولما انعقد مجلس النواب الأردني في اليوم
التالي لحظبة أحمد الشقيري في الأمم المتحدة
اتخذ قراراً باستنكار موقف بريطانيا في الأمم
المتحدة من قضية فلسطين واللاجئين العرب
وأرسل برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية
باسم جميع النواب الأردنيين على ذلك الموقف
الذي ينطوي على الاستهتار بالعدالة وحقوق
الإنسان، ثم قرر المجلس تحديد جلسة خاصة
لمناقشة سياسة بريطانيا في الأردن.

وفي ساعة الظهر من يوم الاثنين ٢٧ ربيع
الأول (١٥ ديسمبر) استدعى وزراء خارجية

قطارات الرحمة

كان الرئيس اللواء محمد نجيب قد قال بحماسة بالغة في جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية : « من العار أن نطالب المعونة للاجئين العرب من كانوا سبباً في النكبة التي حلت بهم ، ،

والرئيس محمد نجيب إذا قال كلمة الخير بادر إلى التفكير في تحقيقها ، وقد كان تحقّقها بمشروع (قطارات الرحمة إلى اللاجئين من عرب فلسطين) ، وقد ساهمت في تنفيذ هذا المشروع البنوك والمصارف المالية وكل من يقدر على المساهمة في هذا العمل الإنساني . وما وصل خبر هذا المشروع إلى البلاد العربية الشقيقة التي تؤوي ألوفاً من هؤلاء اللاجئين المشردين عن وطنهم المحبوب ظلماً وعدواناً حتى شرعت في اقتناء أثر مصر في القيام بمثل هذا العمل العظيم الذي سيتولاه في مصر الجيش المصري من بداية العمل إلى نهايته دون حاجة إلى اشتراك الكويكرز التابعة للأمم المتحدة كما اقترح ذلك بعضهم ، ودون حاجة أيضاً إلى اشتراك الهيئات النسائية كعبرة محمد علي وغيرها ، فالجيش المصري وحده هو الذي سيتولى هذا الأمر في مصر وسيعمل على توفير الأغذية والكساء والأغطية للاجئين وعلى جمع أدوات البناء ليتولى اللاجئون بأنفسهم إنشاء البيوت لهم ولا يهرم . وقد

أبدى رجال القوات المصرية على اختلاف أسلحتها استعدادهم التام للتنازل عن « التعيين ، المخصص لكل واحد منهم يوماً لمدة خمسة أيام فتقدم كيانه كلها إلى إخوانهم اللاجئين من عرب فلسطين . أما قطارات الرحمة فستمر بكل بلدة وكل قرية لجمع التبرعات وستقام ساحات شعبية في القرى لهذا الغرض الإنساني العظيم .

انتحار الاستعمار الفرنسي

في شمال أفريقيا

فقد الاستعمار الفرنسي وعيه فعمد إلى أساليب الانتحار في الشمال الإفريقي ، وكان آخر ما صدر عنه من بنى تأليف العصابات لاغتيال الأحرار والعاملين على تحرير وطنهم . وفي فجر ١٦ ربيع الأول (٤ ديسمبر) بينما كان المجاهد التونسي فرحات حشاد زعيم اتحاد نقابات العمال التونسيين وعضو الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة يجتازاً بسيارته الطريق من تونس إلى سوسة انهمر عليه الرصاص من مدافع رشاشة أطلقت عليه من سيارة كانت تتبعه فأصابته في مواضع عديدة من جسمه . وقد عقد الأمير الشاذلي نجل ملك تونس مؤتمراً صحفياً انهمر فيه عصابة البدا الحمراء الفرنسية باغتيال فرحات حشاد ، وقال : إن الكفاح بين تونس وفرنسا الآن أصبح علنياً .

وما كاد نبأ اغتيال الزعيم التونسي يطرق مسامع الناس حتى أعلن ثمانون ألف عامل تونسي الإضراب العام ، وأغلقت الحوانيت والمتاجر العربية ، وخرجت مئات الألوف في مواكب حداد واحتجاج . ومع فرض نظام عدم التجول فإن الاضطرابات اتسع نطاقها وأدت إلى مقتل عدد كبير من الفرنسيين والمجاهدين التونسيين ، واجتاحت الثورة مدائن كثيرة في مناطق شتى ، وتجاوزت حدود تونس إلى الجزائر ، وقامت المظاهرات الدامية في وهران ، وقتل المدير العام لإدارة الأمن في الجزائر ، ثم اخترقت الثورة حدود الجزائر إلى المغرب الأقصى فقامت الاضطرابات في الدار البيضاء وغيرها من المدن ، واضطرت السلطات الفرنسية إلى إنزال الدبابات الحربية في الشوارع واستعملت المدافع الرشاشة .

وهكذا أراد الاستعمار الفرنسي أن يقمع الثورة التونسية باغتيال زعيم العمال ، فكان كالذي يحاول إطفاء الحريق بالبزير .

ويرى القراء في الخبر الذي ذكرنا فيه احتفال القاهرة بافتتاح مركز التدريب النقابي أن عمال مصر الممثلين في ذلك الاحتفال ، وعلى رأسهم الوزير محمد فؤاد جلال ، وقفوا حداداً على روح الشهيد فرحات حشاد ، وقال الوزير : إن وقفة

الحداد هذه كانت أروع ما في ذلك الاحتفال . وقد أبرقت الهيئات المصرية الكبرى : الإخوان المسلمون والشبان المسلمون والحزب الوطني الجديد وحزب العمال وجماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية والحزب الاشتراكي ولجنة تحرير المغرب وحزب الفلاح برقية إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة وسكرتيرها العام والاتحاد الدولي لنقابات العمال يحتجون على الطريقة التي ابتدعتها فرنسا في الاغتيال ، وعلى الإرهاب المسلح الذي تقوم به السلطات الاستعمارية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى .

ثم كان يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول يوماً مشهوداً في المدرج الكبير بمدينة الأزهر الجامعية احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي القائم من تونس إلى أقصى المغرب ، ومع أن المدرج يتسع لأكثر من عشرة آلاف مستمع لم يبق فيه موضع قدم لشدة ازدحامه بعلماء الأزهر وأبنائه ورجال الهيئات الإسلامية .

وقد ألقى كلمة الأزهر في هذا الاجتماع العظيم وكيل المشيخة الشيخ عبد اللطيف دراز فقال : إني باسم الإسلام وباسم رجال الدين أحمل فرنسا ما نأقبه من عنف وما ترتكبه من فظائع تأباها الإنسانية بل تأباها البربرية . وطالب أن يقف المسلمون في جميع بلاد

لأداء صلاة الغائب على شهداء تونس والمغرب تلبية لنداء اتحاد علماء المساجد وأداها القائدان مع المصلين . وبعد الانتهاء من صلاة الغائب صافح العقيد الشيشكلي الأستاذ الخطيب وحياء شاكرأ ، كما صافح فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار المصلين .

وفي مساء ذلك اليوم (الجمعة) عقدت هيئات إسلامية ووطنية مؤتمراً كبيراً في دار الشبان المسلمين خطب فيه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وممثل للإخوان المسلمين وممثل للشبان المسلمين وممثل للحزب الوطني وممثل للحزب الاشتراكي ، ثم تكلم الأستاذ عبد الرحمن عزام والدكتور محمد صلاح الدين ، والسيد بشير الإبراهيمي .

وفي الختام قرر المؤتمر الاحتجاج الشديد على اغتيال الزعيم العمالي فرحات حشاد وقتل المثات من الوطنيين الأحرار وتضامن الشعوب العربية والإسلامية مع شعوب شمال أفريقيا في نضالها وتكوين لجنة دائمة للمؤتمر برئاسة الدكتور محمد صلاح الدين لوضع برنامج مفصل لهذا التضامن ومناشدة الحكومة المصرية والحكومات العربية والإسلامية تقديم المساعدات اللازمة ، والضغط على الحكومة الفرنسية من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية لتعترف بحقوق شعوب المغرب ومناشدة الشعوب العربية والإسلامية بمقاطعة البضائع والمعاهد

الأرض على قلب رجل واحد مع تونس والجزائر والمغرب ضد هذا الاستعمار الغاشم حتى تنحقق لهذه الشعوب حريتها . وتلاه شيخ علماء الجزائر السيد البشير الإبراهيمي فدعا إلى الانصراف عن الكلام والتصفيق إلى العمل في البلاد الإسلامية كلها لتحريرها وإخراج البغاة منها . ثم تكلم السيد الفضيل الورتلاني والأستاذ محي الدين القليبي فوصفا جرائم الاستعمار وأساليبه في شمال إفريقيا . ثم قرر المجتمعون استنكار فظائع الاستعمار ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية بتنظيم سياسة اقتصادية يكون هدفها الاستغناء عن معاملة الدول الاستعمارية .

وفي يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول أدي الرئيس اللواء محمد نجيب وضيف مصر العقيد أديب الشيشكلي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر ، فكانت خطبة الجمعة على منبر الأزهر عن فرنسا وما تحصدته من أرواح أهل المغرب وما تهرقه من دماهم ، وعن التمصب الجفسي في جنوب أفريقيا وما يلقاه (الملونون) من ظلم الأوربيين .

ثم أعلن الخطيب وجوب التعاون بين شعوب الإسلام ، لأن الإسلام قام على أساس أن العقيدة هي الوطن ، فإذا أصيب المسلمون في مغارب الأرض بظلم فقد أصيب المسلمون في مشارقها بما أصيب به إخوانهم في مغاربها . وبعد أداء الفريضة اصطفت جماهير المصلين

بمرور العام الرابع على إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمونه «حقوق الإنسان»، وإله ليحق للشرق أن يضحك - وشر البلية ما يضحك - لاشترائك أبناء الاحتفال بإعلان حقوق الإنسان مع أبناء الدبابات والرشاشات التي تحصد بني الإنسان في شمال أفريقيا لتمتعهم من المناداة بأنه إذا لم يكن لهم ولجميع الشرقيين النصيب الأول في «حقوق الإنسان»، فإن هذه الحقوق تكون حينئذ من الأكاذيب

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٨ ربيع الأول لبي أعضاء جماعة كبار العلماء دعوة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لاجتماع عقده لبحث ما يجب على المسلمين إزاء موقف الاستعمار من الاقطار الشقيقة تونس والجزائر والمغرب وبعد أن استعرضت الجماعة الحالة القائمة الآن في هذه الأقطار، والاعتداءات المتكررة من فرنسا الباغية عليها منذ عهد بعيد، وبعد تداول الرأي فيما يجب على المسلمين إزاء ذلك تقرر بالإجماع ما يأتي:

١ - استنكار ما يقوم به الاستعمار الفرنسي من كبت الحريات وإراقة الدماء واغتيال الأحرار الذين يطالبون بحقوقهم الطبيعي والإنساني في بلادهم.

٢ - إعلان هذا الاستنكار إلى جميع الدول الإسلامية، وإبلاغه إلى جميع ممثلي

الفرنسية واعتبار قضايا تونس والجزائر والمغرب وحدة لا تتجزأ.

وبينما كانت مصر والشرق الإسلامي كله على مثل هذه الحالة من الغضب لتونس والمغرب على ما ترتكبه فرنسا فيهما من هجوية، كانت اللجنة السياسية في هيئة الأمم المتحدة تعمل على تأييد الاستعمار الفرنسي برفض مشروع قدمته الكتلة العربية الآسيوية في مشكلة تونس، فنال هذا المشروع ٢٦ صوتاً منها أصوات الدول العربية الآسيوية وهي ١٣ وأصوات الكتلة السوفيتية وهي خمسة وأصوات الصين وأثيوبيا وجواتيمالا وليبيريا وسيام ويوغوسلافيا. وعارضته ٢٧ دولة منها (تركيا) وأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وبقية أعوان الاستعمار.

ومن العجيب أن الضمير العالمي في أوروبا وأمريكا مصاب بخدر قوي، فهو يكتفي بوقفة المنفرج نجاه هذه المآسى، بل إن إنجلترا وبلجيكا الاستعماريين تتعاونان مع فرنسا على هذا البغي، وتحاولان معها خنق صوت الحرية التي نزع هذه الدول أنها من دعائها.

أما العالم الإسلامي الذي تغل في أفئدة أهله نيران الغضب على هذا البغي، فإنه كان يقرأ مع أخبار شمال أفريقيا أخباراً أخرى عن احتفال الأمم الغربية يوم ١٠ ديسمبر

عشر ألف طالب جامدوا ليدلوا سخطهم على الاستعمار؛ وبعد خطب حماسية قوية أقيمت في هذه الجوع . قرر الطلبة المجتمعون تأييد الشعب المغربي في كفاحه ، واعتبار عدوان فرنسا على المغرب وانجلترا على مصر وأفريقيا والتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط حملة استعمارية واحدة ، واعتبار معركة المغرب امتداداً لمعركة التحرر التي بدأت في فلسطين والقتال ، واعتبار تموين أمريكا لفرنسا بالسلح اعتداء أصلياً . والسعي لإنشاء وحدة اقتصادية بين جميع البلاد العربية ، وتكوين جهة من الشباب الشرقي بالجامعة لمساخنة الاستعمار بأنواعه ومطالبة وزير المعارف بإغلاق جميع المعاهد الاستعمارية في مصر .

وطلبت جمعية الهلال الأحمر المصري رسمياً من السفارة الفرنسية في القاهرة تصريحاً بسفر بعثة من سيدات الهلال إلى تونس والمغرب للقيام بأعمال الإغاثة والإسعاف للمصابين بالحوادث التي تقع هناك ، ونكتب هذا والمجلة على وشك الصدور ولما ترد السفارة الفرنسية على هذا الطلب الإنساني .

وأدى مصدر رسمي مسئول بأن وزير الخارجية المصرية (وكذلك كل وزير للخارجية في الدول العربية الشقيقة) استدعى سفير أمريكا ، وأوضح له مدى الأثر السيء الذي يحدثه استمرار العدوان في تونس ومراكش

الدول الأجنبية في مصر ، وإلى جميع الهيئات الدولية ، ونشر ذلك في العالم كله ، بختلاف الوسائل .

٣ — دعوة الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية إلى القيام بالواجب الديني والإنساني حيال فرنسا الباغية وموقفها العدواني في شمال إفريقيا ، وأقل ما يتحقق به هذا الواجب الآن أن يقاطعوا مقاطعة تامة في تجارتها وصناعاتها ودور تعليمها .

٤ — دعوة الجامعة العربية والحكومات الإسلامية إلى مقاطعتها سياسياً ، وإلى منع الاستيراد منها .

٥ — دعوة هيئات الخدمة الإنسانية إلى المسارعة بإسعاف المنكوبين وتضميد جراحهم

٦ — دعوة الشعوب الإسلامية في الأقطار كافة إلى الاككتاب العام لمساعدة هؤلاء المجاهدين وتخفيف ويلاتهم . وقد افتتح أعضاء الجماعة - فعلاً - قائمة الاككتاب فيما بينهم ، على أن تودع المبالغ المكتتب بها تحت إشراف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس الجماعة

٧ — ان يوجه فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس الجماعة نداء عاماً إلى المسلمين في جميع الاقطار يذمهم فيه إلى ما أوجهه الله تعالى عليهم في هذا الموقف (وقد نشرنا النداء في مكان آخر).

وفي صباح الأربعاء ٢٩ ربيع الأول اجتمع الحرم الجامعي بالجيزة نحو خمسة

أفريقيا لأفريقيين

دخلت ثورة كينيا على الاستعمار البريطاني في شهرها الثالث وقد تبين للرأى العام العالمى أن ما كان يزعمه الاستعمار البريطانى من أن ثورة كينيا همجية وتافهة إنما هو زعم لا يقوم على أساس ، وقد أذاعت وكالات الأنباء برقية من لندن تنسها بأن ثوار كينيا يسعون للاتصال بثوار شمال أفريقيا على الاستعمار الفرنسى ، وبالمنذمرين من قوانين الاضطهاد العنصرى فى جنوب أفريقيا ، ليتفقوا جميعاً على التعاون للخلاص النهائى من الاستعمار توطئة لتقرير مبداء إفريقيا لأفريقيين .

وقد اعترفت (التيمس) بأن حوادث كينيا تعتبر مرحلة من مراحل الكفاح التى تقوم بها الحركة الوطنية فى أفريقيا ، وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين هذه الحركة والحركة الوطنية على ساحل الذهب فى غرب أفريقيا .

وقد بدأت تنتشر بعض المعلومات الصحيحة عن زعيم الاتحاد الأفريقى فى كينيا وإسمه (جومو كنيانا) ويسميه الوطنيون «الروح المشتعل» ، وهو قوى البنية فصيح اللسان وكان مدرساً فى مدارس كينيا ، وتلاميذ كينيا بمجدونه كما يمجده المسيحيون المسيح . وقد زادت شهرته وتعلق الشعب به بعد اعتقاله فى سجون الإنجليز ، فلم يقدم اعتقاله شيئاً .

والجزائر ، وقد وعد السفير الأمريكى بأنه سيرفع الأمر إلى حكومته فوراً .

وبدأ وزير الخارجية المصرية من يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الأول فى مقابلة ممثلى الكتلة الآسيوية ، فاجتمع بكل من القائم بأعمال سفارة أندونيسيا ، ثم بممثل الباكستان وسفير الهند وممثل الحبشة ، وسيقابل كلا من سفير إيران والافغان ، وكان الجميع يجمعين على رأى واحد فيما يتعلق بقضايا البلاد العربية ، وقضايا شمال إفريقيا .

اعتراض الاستعمار البريطانى

أعلن فى مجلس العموم البريطانى أنه ابتداء من آخر سنة ١٩٥٢ يصبح من حق المستعمرات البريطانية أن تقرض مباشرة من بنك النعمير والإنشاء الدولى . ومن المعلوم أن أكثر المستعمرات أموال هذا البنك أمريكية .

وحينئذ تمض أحد أعضاء المجلس وقال : «أنا بذلك نترك المستعمرات تباع شهادات ميلادها لدولة أخرى» .

فقال مستر أوليفر ليتلتون وزير المستعمرات جواباً على هذه الكلمة وكلمات أخرى فى معناها: «إننا لم نعد نملك شيئاً واحداً نبيدونه فى أرض مستعمراتنا بل لقد أصبحنا مدينين لهذه المستعمرات بمبلغ ٩٦٤ مليون جنيه أخذناها مقدماً . وليس فى استطاعتنا أن نمنع نشوء مشروعات جديدة بأموال غيرنا فيما وراء البحار ما دمنا لا نملك المال اللازم لإنشاء تلك المشروعات بأنفسنا» .

الأدب العلوي في شهر

تعميم التعليم

فإذا زادت كمية مدارس وزارة المعارف إلى ضعف عددها الحاضر سرت العدوى التي تشكو الأمة منها في المدارس الموجودة إلى الجديد منها الذي يخوفون البلاد من تبعاته المالية . وحذا لو يعلم رجال وزارة المعارف أن تفكير قادة الرأي في الأمة منصرف إلى (الكيفية) وشكواهم تدور حول الداء المزمن في المدارس منذ أريد منها تخريج آلات لمكينة الحكومة غير معني بناحية التربية والاخلاق العملية في تكويهم ، ولا بناحية إعدادهم للاضطلاع بمرافق الوطن الأخرى في خارج الحكومة .

فالمطلوب الآن أن تفسجم مدارس وزارة المعارف مع العهد الجديد بتغيير تلك الأسس كلها ، وأن يكون الأساس الأول في مناهجها التربية والاخلاق وأن يستعد الشباب المتعلم للكفاح في سبيل إصلاح المجتمع وإسعاده كما يستعد لإصلاح شئونه الشخصية وسعادته الذاتية ، وبذلك يكونون صالحين للنهوض بأعباء الوطن في مرافقه واتجاهه الصالح نحو التقدم . فهل لوزارة المعارف أن تلبى هذا الطلب حتى تكون مدرسة العهد الجديد ملائمة لروح العهد الجديد ؟

تضح البلاد الآن من جمود وزارة المعارف العمومية على الأسس القديمة التي رسمت لتخريج موظفين لا لتخريج رجال علم وعمل ، وتسكرر الصيحات بمطالبة الوزارة بأن تعنى بالتربية والاخلاق والدين ، وبتأريج أيجاد العروبة والإسلام كمنابها بالألعاب الرياضية على الأقل ، ليتم بذلك اتصال حاضر الأمة بماضيها ، وليكون منه بدء تحول بالمدارس من مصانع لتخريج موظفين ، إلى معاهد لتخريج رجال مثقفين مهذبين يعرفون واجبهم نحو وطهم وقوميتهم ودينهم وناريخهم والهضة التي سيمعيشون معها وتميش معهم .

وإلى الآن لم نسمع لوزارة المعارف صوتا في الاستجابة لهذه الدعوة الصادرة من ضمير العهد الجديد . وكل ما يتحدث به رجالها كلام عن تعميم التعليم وما يحتاج إليه من أموال ، ليخيفوا رجال هذا العهد من التبعات التي تترتب على هذا التعميم حتى يشمل جميع أطفال الوطن الذين في سن التعليم . فتفكير رجال وزارة المعارف لا يزال منصرفا إلى (الشكل) و(الكمية) مع بقاء الداء كما هو ،

فن المكتبات :

نظم معهد التربية للمعلمين بجامعة إبراهيم حاققة دراسات مسائية بين طلبة المعهد لدراسة فن المكتبات ، ويقوم بإعداد هذه الدراسات والإشراف عليها مستر جامي الخبير الأمريكي في فن المكتبات والاستاذ حسن رشاد ، وسيدعى بعض رجال التعليم لتلقى الاسس العلمية والعملية التي تكفل المهوض بالمكتبات المدرسية .

حلقة الدراسات الاجتماعية

عقدت حلقة الدراسات الاجتماعية دورتها الثالثة في دمشق ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الدول العربية بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة . وكانت حفلة الافتتاح بمدرج الجامعة السورية بدمشق . واشتركت في هذه الحلقة جامعة الدول العربية والجمهورية السورية والمملكة الأردنية والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية والمملكة اليمنية ومملكة مصر والسودان والمملكة المتحدة الليبية . وحضرها ممثلون وخبراء من المنظمات والوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وهي هيئة العمل الدولية وهيئة التغذية والزراعة وهيئة الصحة العالمية وهيئة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة (اليونسكو) ووكالة إغاثة اللاجئين . ومراقبون من الإمارات العربية والبعثات

السياسية المعتمدة من سوريا والهيئات الأهلية والخيرية غير الحكومية في البلاد العربية . ومدة هذه الحلقة من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر (٢٠ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الآخر) ، ومن أهم ما يدرس في هذه الحلقة موضوع التكافل الاجتماعي وأثر التنمية الاقتصادية في وسائل التكافل . وإن وفد مصر في هذه الحلقة يرأسه الدكتور محمد عرض محمد وأعضاءه الدكتور عزيز المراغي والاستاذ محمد أبو زهرة والاستاذ أحمد حسن إسماعيل ينضم إليهم مستشارون والمحققان العسكري والثقافي بدمشق . وقد دعي للاشتراك في هذه الحلقة الاستاذ سيد قطب .

مسئولية تحقيق الأهداف :

في يوم السبت ١١ ربيع الأول زان الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب كلية الطب بجامعة إبراهيم ، وخطب في الطلبة فقال :
أبنائي الطلبة ، بل جنودي الطلبة : إنكم أهم من الجنود ، لأن الجنود لهم مهمة معروفة ، أما أنتم فلكم مهمة أخصها في أنكم مسئولون مسئولية تامة عن تحقيق مبادئ وأهداف هذه الحركة .

إن ألمانيا ليست أحسن منا ، إنها هزمت في حربين ، لكنها قامت ونهضت من جديد . ونحن في أشد الحاجة إلى ما قامت من أجله (الرسالة النبوية الشريفة) وهي جمع صفوف العرب وغيرهم من الذميين الذين يعيشون

الوطن آلة كبيرة :

احتفل بافتتاح مركز التدريب النقابي بالقاهرة . وعند بدء الاحتفال اقترح أحد العمال الاشتراك بالحداد على الزعيم العمالي التونسي الشهيد فرحات حشاد ، فوقف الجميع دقيقتين سادهما الصمت الرهيب . ثم خطب الوزير محمد فزاد جلال فقال : إن أروع ما في هذا الاحتفال وقوفنا حداداً على روح زميل كريم ذهب ضحية الاستعمار ، فبدت روح التضامن قوية بين العمال العرب في أوطانهم . ثم قال :

ونحن نجتمع هنا ليكون كل منكم رسولا إلى زملائه في أنحاء البلاد ، فسا الأمة إلا مجموع من العمال ، ولا مكان في هذه الدولة

لمن لا يعمل . هذا هو شعار العهد الحاضر في سعيه لبناء الدولة من جديد . انى أتنى أن أرى اليوم الذى يصبح فيه العمال وأصحاب الاعمال طرفا واحدا شعاره ، حكمة معاوية الخالدة ، : لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، والشعرة هنا هي مصلحة العمل ، فحافظوا على هذه الشعرة ولا تقطعوها .

، انى أحب الرجل الذى يتمسك بحقه ولا يتنازل عنه ، وأحب أيضاً ألا ينسى حق الوطن فلا يضيعه . إن الوطن آلة كبيرة ، والعامل الذى يعمل يرفع بنى وطنه ، وينفع نفسه وغيره من العمال إذا حافظ على هذه

مهم . فنحن كذلك فى حاجة الى جمع الصفوف لنعمل يداً واحدة لمصلحة واحدة هي مصلحة مصر والسودان .

إن النظام يوفر الوقت ، ويكسبنا احترام العالم . إن النظام معناه العمل ، وأنتم تعلمون أنه بغير عمل لا يستطيع الانسان أن ينجح .

لكل إنسان أن ينتقد ، على أن يصف العلاج لموضوع نقده . وافرضوا أنفسكم من قادة الحركة تستطيعوا أن تنتقدوا بملء حريركم وثقوا أن كلا منكم يستطيع أن يكون محمد نجيب ، فأما لم أنهض إلا باستعداد الأمة وتضامنها .

إن رسالتكم ليست تحقيق هذه المبادئ فقط ، ولكن أن تكونوا أيضاً لساناً للدعاية عن هذه المبادئ ، فتعلموا كل من يحيط بكم .

إن السكتب السماوية جميعا تحضنا على المحبة والوثام والنظام ، فليس هناك عمل بدون نظام .

ونقروا أن كل ما نطلبونه سيجاب لكم ، ولكن فى حدود مقدرة الدولة . فأنتم تعلمون كيف تركوا مصر . ولهذا فنحن فى حاجة للاقتصاد ، والتشرف . وثقوا أننا لو اقتصدنا قليلا فسنكسب فيما بعد كثيرا . والسلام عليكم ورحمة الله .

إلا بعد تثقف عميق بكل ضروب الثقافات من فلسفية وغير فلسفية ، ولم يكن عندهم هذا التخصص الذي نشق به في العصر الحديث والذي يجعل طالب الأدب لا يعرف فلسفة ولا كيمياء ولا طباً ولا قانوناً وشريعة ، فأنحصر فكره في دوائر ضيقة ، ولم يعد من الممكن أن يكون متموجاً أو ملوناً بكل حظوظ الثقافة كما كان أدباء العصر العباسي ،

اثناعشر ألف أثر عربي

كان الأستاذ كانون ريمانز أستاذ اللغات السامية بجامعة لوفان قد قام مع عبد الله فلي بمرحلة في بلاد العرب الجنوبية للبحث عن آثار العرب القديمة برعاية الملك ابن سعود ، فبتطلبه ١٧٥٠ ميلاً ، ثم دخلا مناطق عربية لم تطأها قدم أعجمي قبل الآن ، وعثرا في هذه الرحلة على اثني عشر ألف أثر عربي يرجع بعضها إلى عهد ملوك سبأ . وتقوم الآن أكاديمية النقوش والذخائر الأدبية في باريس على دراسة هذه النقوش وكتابة تقرير عنها .

مخطوطات طورسينا

ألفت جامعة الاسكندرية لجنة لتنظيم دراسة صور المخطوطات والوثائق الأثرية التي اشتركت بعثة الجامعة في تصويرها مع بعثة الآثار الأمريكية في دير سانت كاترين في طورسينا . وتعد هذه المخطوطات والوثائق

الآلة ورعى حقها حتى يقبل أصحاب الاموال على استغلال أموالهم في الصناعة .

أدباء السلف والأدباء المعاصرون

يقول الدكتور شوقي ضيف في تعريفه بكتاب «الموامل والشوامل» لأبي حيان التوحيدي ومسكويه (في فصل نشرته مجلة الكتاب) « أصبحنا في عصر السرعة ، وأصبحنا لا نكاد نسأل حتى نجيب . فلم تعد عندنا هذه الصفات التي كان يتحلل بها الأسلاف ، صفات التؤدة والروية والتعمق في المسألة وتشقيقتها ، حتى لنصبح كأنها شجرة ذات فروع ، وما تزال غصون تمتد في الفروع إلى ما لا نهاية .

وقرأت هذا الكتاب وخيل إلى عقب قراءته كأننا لا نستطيع أن نجاري في عصرنا الحديث هؤلاء الناس الذين سبقونا ، لأننا مشغولون بالدعوى العريضة ، وباللقاء الأحكام ونحن نرمي بهند ، الأحكام يمينا وشمالا ، لا نكاد نتدبر أنفسنا ولا نتدبر ما نقول .

ويظن أن المسألة لا ترجع إلى السرعة كما زعمت ، بل ترجع إلى أننا لا نتعب أنفسنا في فهم المسائل وتبينها ، وكشف جوانبها وبواطنها وظواهرها . إنما نكتفي بما نعرفه من الخارج وما تمر عليه أفكارنا .

وقد نكون اختلفنا عن الأسلاف لأن الأدباء منهم لم يكن يزعم لنفسه هذا الوصف

أصغر جمهورية إسلامية .

ظهرت للوجود في الشهر الماضي جمهورية
جزائر مالديف الواقعة في المحيط الهندي ،
وهي تبعد ٤٠٠ ميل عن سيلان . وكانت
في ثمانية القرون الماضية تحكم بنظام الملكية
حكماً عادلاً هنيئاً ، والمسلمون في هذه الجزائر
وادعون يلتزمون الحق ويعيشون للخير
وليس عندهم بيجون وأكثر ما يتجرون به
السماك يتقايضون بالزائد منه للحصول
على ملابسهم وضرورياتهم من سيلان .

في سبيل الاستعمار المشؤوم

أوشكت أن تتم ست سنوات على الحرب
الاستعمارية المشؤومة التي تخوضها فرنسا
في الهند الصينية .

وقد بلغت خسائر الفرنسيين هناك حتى
الآن ١٣٠٠ ضابط و ٣٠٠ ألف جندي .
ولا نعلم كم بلغت خسائرهم في الأموال ،
لكن الذي نعلمه أن الاعتمادات الفرنسية
لهذه الحرب في ميزانية العام القادم هي
٣٩٠ مليون جنيه استرليني أي نحو ربع
مجموع النفقات العسكرية في فرنسا .

أهم مجموعة تاريخية من نوعها في العالم من
حيث تنوعها وكثرة موضوعاتها وغزارة
مادتها وتعدد اللغات المكتوبة بها فهي تبلغ
أثنى عشرة لغة . وفيها غير الكتب الدينية
المسيحية وبعض المخطوطات اللغوية والأدبية
والفلسفية والجغرافية والتاريخية والطبية ،
علاوة على الفرمانات والوثائق القانونية
التعليمية . ومن كتبها نسخة مخطوطة من
الانجيل بالعربية الفصحى تعد فريدة في نوعها
وقد سميت فيها الأماجيل الأربعة مصاحف
كصحف لوقا ومصحف متى الخ ، ويظن أن
هذه الترجمة العربية القديمة تصحح أخطاء
لا تخلو منها الأماجيل بتراجمها العربية المتداولة
وكان الأميركيون قد حاولوا شراء هذه
المخطوطة بمبلغ ضخم فرفض ذلك القائمون
على الدير .

ويظن أن تستغرق دراسة مخطوطات
طورسينا سنوات عديدة ، وهي تقتضى
الاستعانة بالخبراء العالميين . إلا أن جامعة
الاسكندرية تحفظ لمصر الفضل الأكبر في
إظهار أهمية هذه المخطوطات والعناية بها .

طرائف علمية وأدبية

بركان فيزوف :

في المائة من الحالات تحسنت إلى حد كبير ، وكان أكثر المتحسنين من المصابين بمرض الشيزوفرانيا وقد عادوا جميعاً إلى منازلهم ، منهم ١٠٢ فقط أمكنهم العودة إلى أعمالهم . وإن حالات العنف والعدوان والميل إلى الانتحار خفت كثيراً في أكثر الحالات وأصبح من السهل قيادة هؤلاء المرضى وبدأ أكثر من نصف المصابين يهتمون بما حولهم غدير أن ١٠ في المائة منهم زاد انطوائهم على نفوسهم . ورغم هذه النتائج الحسنة فإن الخبراء لم يستطيعوا تفسير ما يحدث للمصاب عقب الجراحة وإن أفنوا بأن تغييراً يحل بشخصيته . ولهذا ينصحون بالأناجيري هذه الجراحات إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى وفي الحالات العنيفة التي يتعذر فيها التعامل مع المريض وتنهال كل الآمال في إمكان علاجه .

الورق من فضلات القصب

صرح وزير التجارة الأمريكية بأن ورق الصحف المصنوع من قصب السكر يضارع في جودته الورق المصنوع من لب الخشب إن لم يكن أفضل منه . وأن تكاليف الورق المصنوع من القصب ستكون زهيدة .

ترتفع قمة جبل فيزوف ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وترقد على سفحه عشرات القرى الجميلة ، وأشهر ثورات هذا البركان في القرنين الأخيرين وقعت في سنوات ١٧٧٩ و ١٧٩٣ و ١٨٣٤ و ١٨٥٥ و ١٨٦٧ وأخيراً في سنة ١٩٤٤ . وقد انتشرت سيول الحمم التي تدفقت في ثورته سنة ١٧٧٩ إلى مسافة ١٥٠٠ قدم ، وقطعت في سيرها حوالي ثلاثة أميال ونصف ميل قبل أن تنتهي إلى ساحل البحر . ويتوقع بعض الجيولوجيين أن تتجدد ثورة هذا البركان عما قريب فتدمر القرى القائمة في جواره من سفح الجبل .

مراكز الإدراك في المخ :

تمكنت إدارة المحاربين القدامى في أمريكا من إتمام دراسة استمرت سنتين على ١٥٠٠ مريض بالأمراض العقلية أجريت لهم جراحات في الفصوص الامامية للمخ ، وهي مراكز الإدراك في الإنسان ، وفي هذه الدراسة اشترك ١٢٨ من الخبراء في شتى الأمراض العقلية وقالوا في تقريرهم إن ٤٠

وهذا الغطاء الجديد للرأس هو (عمامة) من البلاستيك تشتمل على أجزاء إضافية لوقاية الاكتاف والرقبة والوجه وأعلى الصدر ، ولا يزيد وزن هذه المجموعة الواقية على رطل واحد ، وهي كالأصلب في مناعتها إن لم تزد عليه ، وتكالف كل خمس وأربعين عمامة من هذا الاختراع الجديد تعادل تكاليف خوذة فولاذية واحدة مع التفوق في الخصائص الوقائية . وقد نشر مع هذه الكلمة صورة لهذه العمامة الجديدة ، فتبين منها أنها في منتهى الجمال والهيبة ، ويعيننا منها نحن المسلمين على الخصوص أنها توافق تقاليدنا والمألوف عندما إلى درجة أن شكلها يصلح في الوقت نفسه لأن نقتبسه لحياتنا المدنية فضلا عن الحياة الحربية في الميدان ، وإذا كانت العمامة الحربية تصنع من البلاستيك والمواد الصالحة للوقاية من الرصاص والشظايا ، فإن هذا الشكل إذا اتخذ للحياة المدنية ومن نسيج لطيف مريح فإنه بلا شك يصلح أن يتخذ أساساً لوحدة الأزياء التي ينشدها من يدعو إليها . ونحن نلفت أنظارهم إلى هذه الكلمة في الأهرام ، وإلى الصورة المنشورة معها ، وإلى الوصف الشيق الذي وصفت به هذه العمامة التي تعد أحدث ما وصلت إليه العقول فيما يتناقى بغطاء الرأس في البلاد المتحضرة .

وأن الكميات الموجودة في أمريكا من فضلات قصب السكر تفي بجميع حاجات أمريكا المتزايدة من الورق .

معجم بأسماء المجرمين .

تقوم مصلحة الشرطة في سكوتلاند يارد بإعداد ونشر معجم مطول لأسماء وتراجم المحتالين والنصابين العالميين على غرار الكتاب السنوي للشاهير المسمى (من هو ؟) ، ليستفيد منه زوار الجزائر البريطانية من الأجانب المنتظر حضورهم حفلات التتويج ، فيكون لهم من معرفة هذا العنصر الخطر من البشر ما يحميهم منه . وقد شاركت في تأليف هذا المعجم إدارات تحقيق الجرائم في إنجلترا ودول الكومنولث وفي أمريكا وفرنسا .

عمائم مربية للمجرام

في جريدة الأهرام - من بداية الانقلاب الأخير حتى الآن - ركن عسكري عنوانه سلاح الغد ، يحرره كاتب من رجال الجيش يرمز لاسمه بكلمة « صاروخ » ، وقد نشر في العدد الصادر يوم ١٢ المحرم (١١ أكتوبر) كلمة عن أحدث ما ظهر من التطور في صناعة غطاء الرأس للوقاية من الرصاص والشظايا والقنابل بدلا من الخوذات الفولاذية المعروفة إلى الآن .

فهرس

الجزء الرابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بمقلم
٣٩٣	الاسلام والسلام	الاستاذ محمد عرفة مدير المجلة
٣٩٧	من نحن ؟	محج الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٣	السنة : حقوق الأكتفاء	طه محمد الساكت
٤٠٨	تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الاسلام	محمد فتحي محمد عثمان
٤١٣	في الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
٤١٨	أكل رسالات الله	خطبة لفضيلة الاستاذ الأكبر
٤٢١	افتحوا لفته أبواب الحياة	الاستاذ أحمد فهمي أبو سنة
٤٢٤	الكتب الفلسفية وسبيل إصلاحها	محمد عرفة
٤٣٠	الحديث النبوي : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه	محمود النسواوي
٤٣٥	الحكم التكليفي والوضعي	عبد الله المراغي
٤٣٩	أزمة الأدب وحرية التعبير	أحمد عباس صالح
٤٤٣	الدعوة إلى التنشف	محج الدين الخطيب
٤٤٦	رواية الحديث وتدوينه	محمود فرج المقدمة
٤٤٩	كيف بن المسلمون مجدهم	عبد الرحيم فرغل البليفي
٤٥٢	المشولية الحكومية في الاسلام	السيد كمال الشورى
٤٥٤	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب	محمد محمد أبو شهبه
٤٥٨	موقف الاسلام من الشيوعية والرأسمالية	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٤٦١	نورة الاسلام على الفوارق الجاهلية	الاستاذ عبد الحميد محمود السلون
٤٦٥	الايمان يصنع المعجزات	محمد خليفة
٤٦٨	بين الفلسفة وعلم الكلام	علي مصطفى الفراي
٤٧٢	ذكريات تهن مشاعر الانسانية	محمد عبد المنعم خفاجي
٤٧٦	لغويات : البندورة ، الطليان ، برخ ، هندكي	محمد علي النجار
٤٨١	العلمية في فلسفة هيوم	سميد زايد
٤٨٥	الرئيس يزور الأزهر	قلم التحرير
٤٨٨	مملكة تقلى	عبد المنعم محمد الشيخ
٤٩٣	بيان إلى العالم الاسلامي عن قضايا المغرب	فضيلة الاستاذ الأكبر
٤٩٤	الكتب	قلم التحرير
٥٠٤	العالم الاسلامي في شهر	»
٥١٣	الأدب والعلوم في شهر	»
٥١٨	طرائف علمية وأدبية	»